تجليات صورة المرأة في الأدب الإسلامي للطفل

الدكتور : محمد توفيق هنداوي حرحش
مدرس الأدب العربي ـ كلية التربية جامعة دمنهور

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

مما لاشك فيه أن الكتابة للأطفال قد أمست ضرورة في عصرنا هذا ، وقد خاض كثير من الباحثين في ســـرد مزايا تقديم الأشـــكال الأدبية المتنوعة للطفل ،وبيان أثر تلك الأعمال الفنية في، إعداد الأطفال إعدادا ســـليما، مما يســـاعدهم في الاندماج في المجتمع والتعايش مع الأفكار الإيجابية، فيتجنبون سلبيات الماضي ، ويشكلون بعدا إيجابيا في المجتمع . وقد قام الأدباء بجهد وافر، وسعي مشكور ، فقدموا للطفل أشكالا متنوعة من الأدب يتناسب وقيم المجتمع ويمده بثقافات مختلفة؛ فيغرس قيم الماضي الأصيلة ويطلعه على آفاق غد مشرق ، وقد لمع في سماء أدب الطفل أسماء أدباء كبار مثل : كامل كيلاني ، وأحمد شـــوقي ، ومحمد الهراوي، ومحمد أحمد برانق ، وعبد الحميد جودة الســحار ، وأحمد نجيب ، وأحمد ســويلم ، وعبد التواب يوسف ، وأحمد فضل شبلول ... وغير ذلك من الأدباء العظام الذين أفنوا أوقاتهم في سبيل إثراء مكتبة الطفل .

غير أن ثمة بعض الدراســـات التي ظهرت مؤخرا ؛ تســـعي للنيل من جهدهم، و التقليل من فكرهم، في دعوة صـارخة بأن كثيرا من هؤلاء الأدباء قد اضـــطهدوا المرأة ؛ فقللوا من شـــأنها ودورها الاجتماعي ، فيما يطلقون عليه الثقافة الذكورية التي تفتقد لقيم المساواة بين الرجل والمرأة ؛ فنجد على ســبيل المثال لا الحصــر دراســة جولندا أبو النصــر وزينات بتروني تحت عنوان (أدوار الجنسين في أدب الأطفال العربي)[1] تسعي للتأكيد على نمطية النظرة للمرأة باعتبارها أما أو أختا أو زوجة .. وغير ذلك من الصفات التي لا تؤهلها لتجاوز حدود المنزل ، ولا يمثلن فاعلية داخل العمل الفني .كما يرى محمد سيد عبد التواب أن المرأة في كتابات الرجل " لا تتجاوز نماذج : الشـيء ، و الرمز، و الدونية ، وبعض ملامح الإنسـان، وتعد أشـكال المرأة: الأم و الأنثى ، الشـيطان ، ربة المنزل ...، زوجة الأب الشـريرة ، أشـكالا واقعية انتقلت إلى الكتابة الذكورية ، فتنمطت بها شـخصـية المرأة بوصـفها

[1] جولندا أبو النصــر وزينات بتروني : (أدوار الجنســين في أدب الأطفال العربي) مجلة الرائدة ع ١١ ١٩٩٦صـ٣٤

مستلبا في أدنى المجتمعات وأرقها "[1]. ويستمر في الحديث مؤكدا أن المرأة اتخذت " دورا تقليديا لدى كتابات معظم الرواد ومنهم : كامل كيلاني ، ومحمد سعيد العريان ، وعطية الإبراشي، وعبد التواب يوسف ، ويعقوب الشاروني "[2].

وفي دراسة أخرى تصل فيها الباحثة إلىأن "معظم الكتب الموجهة للأطفال في المرحلة الابتدائية لم تتناول دور المرأة بالقدر الذي يتفق ووضعها خارج أسوار المنزل "[3].

ويبدو أن تلك الدراسات العربية صدرت متأثرة بدراسات غربية كشفت عن قهر المرأة في مجتمعاتهم ، فرددوها دون بحث دقيق عن تعظيم أدبائنا العرب للمرأة في كتاباتهم للأطفال .فالمدقق في كتابات أدبائنا يستطيع أن يتلمس القدسية التي أحاطوها بالمرأة ، وكيف صورها باعتبارها ضلعا رئيسا في أحداث المجتمع ؛ فقد كانت محاربة تزود في الحرب عن ذويها ، وكانت صاحبة فكر تعتنق الإسلام أو تحارب ضده ، وكان منهن العالمات و المحدثات والفقيهات ، كما كان منهن من يشتغل في التجارة ، أو من سعى للصلح منهن بين فرق متخاصمة ، ومنهن من ضحى بأولاده في سبيل نصرة عقيدته التي يؤمن بها ... وغير ذلك من الأدوار التي تتخطى حدودها التي تدعيها تلك الدراسات .

ومن هنا حاولت في بحثي هذا الكشف عن جهود أدباء العرب القدامى و المحدثين في تقديم الصورة الإيجابية للمرأة ، وكيف نظروا إليها باعتبارها النموذج والقدوة الذي ينبغي أن يحتذي ، في إطار المنزل أو خارجه ، أو في إطار التبعية للرجل أو القيادة و الزعامة للأمة ، محاولا الكشف عن جماليات أسلوبهم الفني في تناول قضايا المرأة .

١- السيدة آمنة بنت وهب :

لم يقدم أدباء الطفل السيدة آمنة بنت وهب باعتبارها مجرد امرأة عادية في التاريخ الإسلامي، بل كانت لها مجموع صفات سعوا إلى

---

[1] د محمد سيد عبد التواب : صورة المرأة في أدب الأطفال ، التشكل والإشكال، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠١٥ صـ٦٣

[2] المرجع السابق صـ٦٣

[3] هدى محمد : صورة المرأة و الطفل بين الموروثات الشعبية ومقررات اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية ، ٢٠٠١مجلة الثقافة والتنمية ع ١

توضيحها للأطفال ؛ فهي امرأة ذات حسب ونسب وجمال؛ يقول الشاعر :

كانت لوهْب ابنةٌ هي دُرةٌ مثْل القمـرْ
حسناءُ تُدعى آمنة ، فيها حياءُ في خفرْ
كانت خيارَ بنات مكة ، زانها بُعْدُ النظرْ
عقدوا عليها للغلام ، وهكذا شاء القـدرْ[1]

فالشاعر يكشف في الأبيات السابقة عن جمال وحياء السيدة آمنة ، وما تتمتع به من مكانة بين بنات مكة ، وما تتسم به أيضا من بعد نظر ، في حين يسعى بعض الأدباء الكشف عما تتمتع به السيدة آمنة من وفاء لزوجها عبد الله بعد وفاته ؛ يقول الشاعر :

" ووفاءً للذكْرى ؛
رأت آمنةُ ،
أن تزورَ قبرَ " عبد الله " ،
و معها محمدٌ ،
و معها أمَّ أيمن الجاريـةْ ،
و حازت من الجدِّ المهِيب ،
بالموافقةْ .
و الثلاثةُ مُشْتاقونَ للهدف ،
و أبـى القـدر ،
و أبـى القـدر ،
تحقيـقَ الهـدفْ .
فتمرضُ آمنـةُ ،
و تموتُ بالأبواءِ . [٢]

ولعل كريمان حمزة في مجموعتها القصصية " سيد الخلق " كانت أكثر قدرة على بلورة مشاعر الوفاء و وكذلك وصف الحزن الشديد الذي أصاب السيدة آمنة حتى كادت ترجع سبب وفاتهالشدة تعلقها بزوجها ؛ تقول :

---

[1] محمد عايش عبيد : " تغريدة السيرة النبوية " دار التراث ١٩٨٥جـ١ صـ٤٦

[٢] عبد العظيم الشبلي : فصول من السيرة (النبى الواعد) الهيئة المصرة العامة للكتاب القاهرة ٢٠٠١ صـ ١٧ ، ١٨ .

" وفى أحد الأيام قالت آمنة لمحمد ... اليوم ســـنذهب لزيارة قبر أبيك عبد الله ثم نرحل إلى مكة ... وذهب الغلام محمد إلى قبر أبيه ، و ظن أنـه يمكنـه أن يراه ، ولكنـه وجد أمـه تقف أمـام مرتفع من التراب و تلقى بنفسها عليه و تنخرط في بكاء عميق وهى تحتضن التراب و تقبله ... فخفق قلب الصـــبي شـــوقا للأب و رحمة بالأم الأرملة الحزينة .. وراح القوم يواســـونها و يعزونها .. وتتعثر الكلمات ... و تختنق العَبرات بالبكاء على فقد عبد الله .. وراح محمد يدقق النظر في التراب علَّه يســـتطيع أن يخترق هذه الأكوام ويرى أباه ... ثم غربت الشـــمس و حان وقت الرحيل ... فودع الجميع آمنة ... وركب الثلاثة على الناقة ... وكانت آمنة قد تهالكت .. و شـعر الغلام أن أمه لا تستطيع ترك المكان .. و أنها تركت قلبها هناك على قبر أبيه و عادت جسـدا شـاحبا بلا حياة .. وفى الطريق إلى مكة كانت آمنة شـــاردة الذهن في ملكوت آخر ..لا تأكل .. و لا تشـــرب .. ولا تتكلم كأن روحها قد ســلبها عبد الله في قبره .. ولم يســتطع الصـــبي محمد أن يدخل الفرحة على قلب أمه كما كان يفعل من قبل لأنه كان يشـــعر بها و يُحس آلامها ... فلم يلعب ولم يتحرك ظلت عيناه ترقبان الســـماء في علوها و الصـحراء في اتسـاعها و أمه الشـاحبة السـارحة ، وراح يفكر في أبيه أين ذهب ؟ ولماذا ذهب ؟ وهل له أن يراه و لو مرة ؟ وهل ؟ و هل ؟ وانتبه محمد على شـــهقة من أمه التي فاجأها الموت في الطريق ... و رأى وجهها و قد تغير لونه ... و لمس جسـدها فوجده باردا ... ولم يصـرخ الطفل و لم تدرك أمّ أيمن حالة الطفل وسط هذه المأساة فتنحيه عن المكان ... "[1].

وهي وإن لم تسلم لأنها قد ماتت والرسول ﷺ مازال في السادسة من عمره إلا أنها لعبت دورا رئيسـا في نصـرة الإسـلام ؛ ففضـلا عن كونها قد أنجبت خير البرية ، وخاتم الرســـل و الأنبياء فإنها قد أســـهمت فيالحفاظ علىالدعوة الإســـلامية ؛ حينما ســـعت بابنها محمد ﷺ في زيارة خاطفة لأخوال أبيه بني النجار بالمدينة المنورة ؛ فكانت هذه الزيارة بمثابة التمهيد لنصـرة الدعوة الإسـلامية على أراضـي المدينة المنورة التي حمت الدعوة الإسلامية بإذن الله ــ تعالى ــ وكانت مركزا لنشر الدعوة الإسلامية ؛ يقول

[1] كريمـــان حمـــــــــزة: " سيد الخلق " دار الشروق، القاهرة ١٩٩٤جـ١صـ ٦٤ ، ٦٦ .

كامل كيلاني موضحا الدور الإيجابي الذي قامت به السيدة آمنة :

" - وقد ألهم الله آمنة أن تحمل ولدها العظيم إلى يثرب .
- إلى المدينة المنورة .
- لتعرفه بأخوال أبيه ، عبد الله .
- تعني بني النجار الذين كان لهم أكبر الفضل في نصرة الرسول ﷺ ومؤازرته ، وتحبيب الهجرة إليه في كهولته .
- كانت رحلة موفقة النتائج ، عظيمة الآثار ، فلم ينسها الرسول منذ طفولته .
- لقد مهدت له ، حين كبر ، سبيل التعاون مع بني النجار على بلوغ أهدافه الجليلة . وقد رأيتما كيف بذلوا جهودهم في تحبيب المدينة إليه
- وقد اجتازت به أمه قرابة مائتين من الأميال
- مسافة ما بين مكة و المدينة ." [1]

يتضح من النص السابق أن السيدة آمنة قد تكبدت عناء الطريق من أجل أن يتعرف محمد ﷺ على أخوال أبيه فهي تريد أن تصل المودة بين محمد ﷺ وبينهم،وهذا يكشف عن بعد نظر للسيدة آمنة ؛ لأنها رفضت أن تقتلع محمد ﷺ من جذوره ، وأصرت على تحقيق الروابط والأواصر بين محمد ﷺ وأخوال أبيه؛ حتى يجد ملاذا وحماية له فيما بعد ، وقد كان ذلك ، فكان لهم أكبر الفضل في نصرة الرسول ﷺ ومؤازرته ، كما كانوا سبب تحبيبه في المدينة المنورة . و بالتالي يمكن استنتاج عدد من السمات الإيجابية التي اتسمت بها آمنة من خلال كتابات الأدباء :

- كانت آمنة مثالا في الخلق و الجمال و الحياء .
- كانت آمنة من خيار بنات مكة .
- كانت ذات بعد نظر .
- كانت وفية لزوجها بارة بابنها .
- قامت برحلة ذات أثر عظيم ؛ فقد دعمت بها دعائم الدعوة الإسلامية حينما قطعت مسافات طويلة من أجل أن تعرف محمدا ﷺ بأخوال أبيه .

---

[1] كامل كيلاني: مجموعة "من حياة الرسول " ، دار مكتبة الأطفال ،القاهرة صـ١١.

٢- السيدة خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها- :

كانت السيدة خديجة ذات عقل وسداد ،ولها من المواقف ما أجبر التاريخ أن يقف عندها طويلا بالتأمل و الدراسة و الشرح و التعليل .وقد عمد أدباء الطفل ـــ أيضا ـــ إلي بيان دورها وفضائلها على الأمة كلها فالسيدة خديجة " كان الناس يدعونها بالطاهرة ، وسيدة قريش ، وكانت جميلة بيضاء تميل إلى السمن ، وكان شعرها أسودا ناعما ، وعيناها واسعتين "[١]

وفوق طهارتها وعفتها وجمالها وثرائها، فقد كانت "امرأة ذات جلد وقوة وعزيمة فكانت تُخرج في مالها وتجارتها الرجال ، تستأجرهم وتقارضهم بشيء تجعله من مالها ، وبذلك حافظت على أصل مالها وزادت عليه زيادة كبيرة . ورفضت خديجة الزواج بعد موت زوجها الثاني ، وردت كبار قريش : أغنياءهم وأشرافهم ، وقد كانوا يرجون الزواج منها ، ويبذلون في ذلك ما يملكون من مال ويوسطون لها الوسطاء" [٢].

إلا أن السيدة خديجة لم تجد فيمن تقدم لها كفؤا لها حتى أتيحت لها الفرصة فتعرفت على نبي الأمة قبل أن يبعث ، بعد أن صيرته قائما على تجارتها ، فوجدت فيه الشخص المناسب ، وقد لمست صدقه ووفاءه وأمانته ، ورغبت في الزواج منه " ولم تستطع أن تكتم رغبتها هذه ، فتحدثت بها إلى المقربات منها من النساء . فقالت لها إحداهن وهي نفيسة بنت منبه :

ما عليك يا خديجة في أن تتزوجي الأمين ؟!

قالت خديجة و ما السبيل إليه ؟

أجابت نفيسة : أنا كفيلة بذلك .!

وذهبت نفيسة إلى محمد تستدرجه لغايتها ، فقالت :

ما يمنعك أن تتزوج يا محمد ؟

قال : ما بيدي ما أتزوج به !

قالت فإن كفيت ذلك ، ودعيت إلى الجمال و المال و الشرف ، ألا تجيب؟

قال : فمن هي ؟

---

[١] عبد الحميد جودة السحار : قصة (خديجة بنت خويلد) ، مكتبة مصر صـ٦

[٢] محمد أحمد برانق : قصة (خديجة الطاهرة)دار المعارف ط٩ ١٩٩٨ صـ١٠

قالت : خديجة !

وبوغت محمد ؛ لقد أعجبه من خديجة أدبها وحزمها وكان ما لمسه منها مصداقا لما كان أن يسمعه من قومها عنه "[1].

ويتزوج محمد ﷺ من خديجة ، وينتقل معها إلى بيتها ليبدآ معا حياة جديدة ، وتمر الأوقات حتى كلفه الله ـ تعالى ـ بالنبوة فيجد من خديجة العقل الراجح ، و السند القوي ؛ فهي زوجه التي كانت تدعمه وتدافع عنه، فيعود للبيت ، للسكن ، للاستقرار ؛ يعود لزوجه لكن ليس على عادته لقد جاء مرعوبًا خائفًا يقول زمليني، زمليني، فزملته حتّى هدأ من روعه فقالت له: ما خطبك يا محمد، فقال لها ما حدث معه في الغار من نزول جبريل عليه السلام، وتحديثه بالقراءة، ونزول أول آية من القرآن، فطمأنته وقالت له: والله لا يخزيك الله أبدًا، إنّك تصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلَّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق؛يقول الشاعر :

إن الذي يأتيكَ وَحيٌ ليسَ من أهل المجـــونْ[2]
عادَ الأمينُ لبيته منْ رحلةِ الوحي المصـــونْ
الرّعبُ يملأُ قلبهُ قد عادَ للصّدر الحنـــــونْ
الوحْيُ قد هزَّ كيانه قدْ ظنّهُ ريْب المَنـــــونْ
بل قالَ : إني خائفٌ أخْشى على نفْسي الفُتــون
قد قال أيضًا : دثّروني هذه نفْسي تهـــــونْ
كانتْ خديجةُ زوجه تمتازُ بالعقلِ الفطيـــــن
قالت له : لا ، لا تخفْ يا ابن العمومة لنْ يكون
لا لنْ تصابَ بأيّ سوءٍ ، في حديثٍ ذي شُـــون
أنت الذي صدق الحديث مدى الحياةِ فلا يخـونْ
أنتَ الذي تَقْري الضّيوفَ إذا تجادبت السنـون
بل أنتَ مبعوثُ العنايةِ في دجى ليل السُّكـــونْ
حاشاك أن يُخْزيك ربّي أنت نور العيـــــونْ

وهكذا وقفت السيدة خديجة ـــ رضي الله عنها ـــ مع زوجها في محنته، وذكرته بفضائله ، وطمأنته ، ونصحته بالذهاب إلى ابن عمها ورقة

---

[1] محمد أحمد برانق : قصة (النشأة) دار المعارف صـ٢١ ، ٢٢
[2] محمد عايش عبيد : " تغريدة السيرة النبوية " مرجع سابق جـ١ صـ١٢٠

بن نوفل الذي أكد له أن هذا هو الوحي الذي يهبط على الأنبياء.

ولم يقف دورها عند هذا الحد بل أسلمت لتصبح أول من أسلم من النساء ؛ فهي لم تساند زوجها فحسب ، بل صارت ذا رأي هداها للإسلام ؛ يقول الشاعر :

هذي خديجة أِلمت أَولى النساءِ المسلمات
هي زوجة الهادي وأوّلُ زوجةٍ في المُحصنات
قدْ أشْرقَ الإيمانُ في أعماقها في السَّابقات
قد آمنت بالله ربًّا ، ربُّ كلِّ الكائنات
قدْ أخْلصت في دينها ، نعم النساءُ المخلصات
من مالها من جَهدها أعطت ولم تُعطِ الفُتات
قد سلّم المولى عليها ، فهي بين الآمنات
جبريلُ جاء إلى النبي ، وخصها بالبُشرَيات
قد أَعْطيَت في الخُلْدِ بيتًا في جوارِ الخالدات[1]

فقد أسلمت خديجة ، وحسن إسلامها ، وصارت تنفق من مالها في سبيل الله ، وهنا بشرها جبريل عليه السلام بأنها قد خُصّت ببيت في الجنة ولنعم العطاء عطاء الله . وبعد هذا العرض البسيط لبعض ما قدمه أدباء الطفل عن خديجة ـــ رضي الله عنها ـــ نستطيع أن نذكر بعض الأدوار الإيجابية التي قامت بها:

- أنها كانت تدير مالها بنفسها وتختار من الأمناء من يقضي لها تجارتها .
- أنها اختارت بنفسها الزوج الذي وجدته مناسبا .
- كانت نعم السند لزوجها ، ونعم الناصح له .
- لم تقف موقف المتفرج من الدعوة الإسلامية بل اقتنعت بالإسلام وصارت تساند الدعوة الإسلامية بمالها وجاهها وفكرها وجهدها .

وغير ذلك من الأدوار التي نهضت بها مما جعل التاريخ يذكرها ويذكر فضائلها فهي لم تقف في هذا الركن السلبي تعد الطعام وتولي أمور البيت فحسب ، بل اندمجت بقضايا المجتمع وبتجارتها وباختيارها للزوج الصالح .

٣ـ السيدة سودة بنت زمعة ـ رضي الله عنها ـ :

---

[1] محمد عايش عبيد : " تغريدة السيرة النبوية " مرجع سابق جـ١ صـ١٢٨

بعد وفاة السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ جاءت خولة بنت الحكيم ـ الرسول ﷺ وعرضت عليه الزواج من السيدة سودة بنت زمعة ـــ رضي الله عنها ـ ،وقد توفي عنها زوجها السكران بن عمرو ، و السيدة سودة وإن كانت بعد وفاة زوجها " لم يكن لها إرب في الزواج ، فهي امرأة عاطلة من الجمال ، جاوزت سن الشباب ، فقد زاد وزنها ، وثقل وترهل جسدها " [١] فهي لا تستطيع أن ترفض شرف انتسابها للرسول ﷺ. وهي وإن كانت تعلم أنها لا تستطيع أن تملأ الفراغ الذي تركته السيدة خديجة ـــ رضي الله عنها ـ بعد وفاتها، فقد صممت من قلبها " أن تعمل كل ما في وسعها لخدمة محمد و السهر على راحته ، وهي كذلك تريد أن تعمل كل ما في وسعها لرعاية بناته . فحسبها أنها زوجة رسول الله .. وأنها تسهر على راحته ...وتقوم برعاية بنات رسول الله " [٢].

أما عن دورها الإيجابي في الحياة بصفة عامة وفي خدمة الإسلام بصفة خاصة فقد " آمنت بمحمد واتبعته ، وهاجرت إلي الحبشة تقاسي المشاق و المصاعب ، وتتحمل البعد عن الأهل و العشيرة في سبيل دين الله "[٣] . إذن شاركت السيدة سودة ـــ رضي الله عنها ـــ مشاركة ايجابية في المجتمع ؛ فقد كانت صاحبة قرار بدخولها الإسلام وهجرتها للحبشة وتحملت الصعاب في بعدها عن الأهل .

ومن الأدوار الإيجابية أيضا للسيدة سودة ـ رضي الله عنها ـ أنها كانت تهتم بالمساكين والفقراء " حتى أن عمر بن الخطاب أرسل إليها في مدة خلافته غرارة مملوءة بالدراهم فلما وصلتها سألت : ما هذا ..؟!!

قيل لها : هذه دراهم

قالت : في غرارة مثل التمر ...؟!!

وفتحت سودة الغرارة ، وفرقت ما فيها على الفقراء و المساكين "[٤] وهكذا تعددت الأدوار الإيجابية التي لعبتها السيدة سودة ـ رضي الله عنها ـ في المجتمع .

---

[١] محمد أحمد برانق : قصة "سودة " مرجع سابق صـ ١٤

[٢] المرجع السابق صـ ١٨

[٣] المرجع السابق صـ١٣

[٤] المرجع السابق صـ ٣٠

٤- السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ :

عائِشة بنت أبي بكر التيميَّة القُرَشِيّة توفيت سنة 58هـ678/م؛ثالث زوجات النبي محمدﷺوإحدى أمهات المؤمنين، والتي لم يتزوج امرأة بكرًا غيرها، وبنت الخليفة الأول للنبيﷺ محمد أبو بكر بن أبي قحافة.وقد تزوجها النبي محمد ﷺبعد غزوة بدرفي شوال سنة 2هـ، وكانت من بين النساء اللواتي خرجن يوم أحدلسقاية الجرحى.

ولقد سعى أدباء الطفل لبيان فضلها كزوجة ؛ فقد كان حب الرسول ﷺ لزوجته عائشة ـ رضي الله عنها ـ مضرب المثل ليومنا هذا ؛ فقد كان يقول لها : " حبك يا عائشة في قلبي كالعروة الوثقى ! وكانت عائشة تسأل زوجها الرسول بين حين وآخر عن حال العروة الوثقى فيجيبها : إنها لم تتغير ولم تتبدل . هكذا كان حب الرسول لعائشة منذ أن تزوجها وهي صبية صغيرة ، وهكذا ظل حتى مات الرسول ، وتخير الرفيق الأعلى من الجنة "[1].

وقد بذلت السيدة عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ جهدها فى الاهتمام بالنبي ﷺ؛ فقد كانت " تحبوه بحبها ، وتحيطه بعنايتها ، و تهيئ له أسباب الراحة بكل ما تقدر عليه ، وتعمل ما وسعها لتجعل كل أوقاته التي يقضيها بجانبها هناءة ، وكل سويعاته التي يكون فيها بقربها سعادة . وكانت تتألم حين تراه يقسو على نفسه في التقشف ."[٢].

وإذا كنا لا ننكر هذا الدور الإيجابي للمرأة المتزوجة من مساندة الزوج و السعي لراحته ؛ فقد سعى أدباء الطفل إلى توضيح عدد من الأدوار الإيجابية للسيدة عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ في المجتمع الإسلامي فيكتب برانق قصة (عائشة العَالِمَة) ليبرز فقهها وعلمها الغزير ، فقد كانت عائشة ـ رضي الله عنها ـ كثيرة السؤال للنبي محمد ﷺعن معاني الآيات القرآنية، فمكّنها ذلك من القدرة على تفسير القرآن. كما تمتعت عائشة بنت أبي بكر ـــ رضي الله عنهما ـــ بذاكرة قوية مكّنتها من رواية الكثير من الأحاديث عن النبي محمدﷺ، إلى جانب حفظها الكثير من الشعر والأمثال؛

---

[1]محمد أحمد برانق : مجموعة أمهات المؤمنين قصة " عائشة الحبيبة " مرجع سابق صـ٣

[٢]المرجع السابق صـ ٨

يقول برانق: " خذوا شطر دينكم عن الحميراء. بهذا أوصي النبي صحابته، وهكذا كان يردد الرسول القول على مسمع من المسلمين ؛ وهو يعني بالحميراء زوجته عائشة لشقرتها واحمرار وجهها .

فإذا ما أوصي النبي هذه الوصاية لأصحابه فلابد أنه يعلم كل العلم أن عائشة قد استطاعت أن تدرك كل ما له صلة بالدين الإسلامي ، وبرسالة محمد العظيمة التي أرسله الله ليدعو الناس إليها ، ولا بد أيضا أن النبي قد أعدّ عائشة لتكون خير مصدر يرجع إليه المسلمون من بعده ، ولتكون أمتن أس يمكن الناس الركون إليه "[1]

ويؤكد على هذا المعنى أيضا حامد أحمد الطاهر فيقول : " كانت عائشة ـ رضي الله عنها ـ

فصيحة بليغة ، عالمة بالقرآن، و الحديث ، ولغة العرب ، والقضاء، والفرائض وكذلك كانت عالمة بالطب "[2].

ويسرد المؤلف آراء معاصريها حول علمها الغزير ومعرفتها الجمة "يقول ابن أختها عروة بن الزبير ــ رضي الله عنهما ــ لقد صحبت عائشة، فما رأيت أحدا قط أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة ، ولا بسنة ، ولا بشعر ، ولا بيوم من أيام العرب ، ولا بنسب ، ولا بقضاء ، ولا بطب منها .

فقلت لها : يا خالة ، الطب من أين علمته ؟ فقالت : إن رسول الله ﷺ كان يسقم في أواخر عمره وكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه ، فتنعت له الأنعات ، وكنت أعالجها له ، فمن ثم . وكنت أسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه .

وعن حفظها للشعر يقول الإمام الشعبي : قالت عائشة : رويت للبيد نحوا من ألف بيت !، ويقول أبو موسي الأشعري ــ رضي الله عنه ــ : ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما ."[3]

ولم يكن علمها الكثير وفقها هو الدور الأبرز لها في المجتمع ؛ فقد

---

[1] المرجع السابق صـ١٠

[2] حامد أحمد الطاهر : سلسلة أمهات المؤمنين للأطفال ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ط١ ٢٠١٤ صـ ١٢١

[3] المرجع السابق صـ ١٢٢ ، ١٢٣

كانت تهتم بالفقراء والمساكين ولو كان ذلك على حسابها ؛ يقول المؤلف : " بعث معاوية بن أبي سفيان ـــ رضي الله عنه ـــ بثمانين ألف درهم إلي عائشة ، فدعت بطبق ، وهي يومئذ صائمة ، فجلست تقسم المال بين الناس من الفقراء و المساكين " [1].

وفوق علمها و كفالتها للمساكين فقد نزل فيها قرآنا برأها ليوم الدين من تلك الحادثة التي تسمى بحادثة الإفك " (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) هذه آية من آيات الله ، التي أنزلها الله على نبيه محمد ، يبين له فيها براءة زوجته عائشة من حديث الإفك الذي تحدث به المرجفون ، وأشاعه المغرضون ، فأكرم الله بهذا عائشة أيَّ إكرام ، وبرأها بآياته براءة ظلت تحوطها بهالة من نور طول حياتها ، وبقيت منارا وهدى للمسلمين ، يتلونها على مر الأجيال وكر السنين "[2]

وفوق كل ما سبق فقد كانت امرأة سياسية ؛ فقد شاركت في الحياة السياسية وحاولت الإصلاح في أخطر اللحظات التي مرت بها الأمة الإسلامية؛ وذلك ما دار بعد استشهاد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ من فتنة بين المسلمين ؛ فقد كانت عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ " على رأس العائبين لسياسة عثمان ، الآخذين عليه تقريبه لأقاربه ، الساخطين عليه محاباته لذوي رحمه، وعمله بما يريدونه منه، وتنفيذه لما يشيرون به عليه، غير مكترث بإشارات الناصحين، وإرشاد المرشدين من أصحاب الرسول. وجهرت عائشة بغضبها على عثمان ، وأظهرت ميلها إلى خلعه ، وتمنت أن يلي الخلافة قريبها وزوج أختها طلحة بن عبيد الله التيمي . وبينما عائشة في منصرفها من مكة إلى المدينة جاءها نبأ مبايعة علي بن أبي طالب بالخلافة فحولت ركائبها عائدة إلي مكة ، ودخلت مكة وهي تصيح :

واعثماناه ... ! قتل مظلوما !

ولما سئلت : ألم تكوني بالأمس ضده ، تحرضين الناس عليه وتولبينهم على خلافته ؟

---

[1] المرجع السابق صـ ١٢٤

[2] محمد أحمد برانق: مجموعة أمهات المؤمنين ، قصة (عائشة المبرأة) مرجع سابق ص٣

أجابت : ولكني نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه ، فلما تاب قتلوه وهو صـــائم في الشـــهر الحرام ، و البلد الحرام ، وأخذوا المال الحرام .. و الله لأصـبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم ... والله لليلة من عثمان خير من علي الدهر كله . "[1]

وحينما نصحتها أم سلمة ــ رضي الله عنها ــ بعدم الخروج للمطالبة بدم عثمان ـ رضي الله عنه ـ .

أجابت " ما أعرفني بنصـــحك.. و أقبلني لوعظك ! إن أُقِمْ ففي غير حرج ، وإن أخرج ففي إصـــلاح بين فئتين من المســـلمين ... وأرجو فيه الأجر إن شاء الله"[2]

وهكذا سـعي أدباء الطفل تقديم السـيدة عائشـة ـــ رضـي الله عنها ـ كنموذج للمرأة التي لم يقتصـــر دورها على الحياة الزوجية فحســـب ؛ بل تعددت أدوارها فهي ؛ عالِمة ، وفقيهة ، وخبيرة بأنســـاب العرب ، وعارفة بالطب ، وسياسية تحاول الإصلاح بين المسلمين .

٥ ـ حفصة ابنة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ :

مما لا شك فيه أن الله ـــ تعالى ـــ قد أعز الإسلام بإسلام عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وبدا دوره واضحا في مساندة الإسلام والمسلمين . ولقد كرمه رسـول الله بأن جعل بينهما نسـبا حيث تزوج الرسـول ﷺ من حفصة بنت عمر بعد أن اعتذر أبو بكر وعثمان ــ رضي الله عنهما ــ يقول مرزوق هلال :

" فضـل : ألا ترى معي أن عمر بن الخطاب يبدو عليه الحزن و الكآبة على غير عادته ؟

عمرو : إنه حزين لأن ابنته حفصـة قد ترملت وهى لا تزال في ريعان شبابها ..

فضـــل : لقد فاتح أبا بكر الصـــديق في أمر زواجه منها لكن الصـــديق أمسك عن الكلام ولم يجبه ولم يعلق .

عمرو : وأنا أعرف أنه تحدث إلى عثمان بن عفان في الزواج من ابنته التي مات عنها زوجها فقال له : ما أريد الزواج اليوم .

---

[1] المرجع السابق : قصة عائشة السياسية صـ٤ ، ٥

[2] المرجع السابق : صـ٩

فضـل : الحقيقة أن ابن الخطاب لم يكن يتوقع هذا الموقف من أبى بكر وعثمان صـــاحبي رســـول الله وصـــهريه .. وأغلب الظن أن ابن الخطاب سيبوح بما يغضبه ويؤرقه لرسول الله .

عمرو : هذا حدث ... وتلقاه الرسـول الكريم هاشـا ملاطفا واسـتمع إلى مقالته وقال لعمر : سـيتزوج حفصـة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هي خير حفصة

الراوية : ومضى كل منهم ... أبو بكر الصديق ليهون على ابنته عائشة من وقع الخبر ، وابن الخطاب ليزف البشري لابنته حفصة " [1]

ويعرض أدباء الطفل كذلك لكثرة صـــيامها وقيامها ويؤكدون على فصـاحتها ؛ " دخلت حفصـة بيت النبي ﷺ وهي صـوامة قوامة ، زاهدة ، عابدة، فصيحة اللسان كأبيها عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ ولا زالت كذلك حتى لقيت ربها ـ عز وجل ـ " [2]

أما عن مكانتها ودورها فقد تحملت مســـئولية لها من الأهمية بمكان ؛ فقد اختارها الصحابة ـــ رضوان الله عليهم ـــ ليحفظوا عندها ما جمعوه من القرآن في مصحف واحد ، ويا لها من مسئولية . لم يقل الصحابة حينئذ أنها امرأة ويســـندون هذه المهمة لأحد الرجال ، ولكن الصـــحابة ـ رضوان الله عليهم ـــ نظروا في الصالح العام فكانت اختيارهم " وكان لزاما أ، يحفظ هذا المصـــحف لدى من يعرف قيمته ، ويحافظ عليه من التغيير ، ويكون شـــخصـــا مات رســـول الله ﷺ وهو راض عنه . فمن يكون هذا الشخص ؟

لن يكون هذا الشـــخص إلا قارئا ، كاتبا ، مأمونا ، حافظا للقرآن، ينتفع بوجود المصحف عنده ، فكانت هي حفصة ــ رضي الله عنها ــ ؛ لأنها الوحيدة التي كانت تكتب وتقرأ من أمهات المؤمنين ، وبذلك صار المصحف في مكان أمين .

كانت وديعة اسـتودعها الصـديق و الفاروق أم المؤمنين و التي كانت على قدر هذه المسئولية ، فحفظته ولو استطاعت لجعلته بين جفونها ، فكان

---

[1] مرزوق هلال : سلسلة المسرح الإسلامي للناشئة ، (حفصة في بيت الرسول) دار الكتاب المصري القاهرة صـ٣ ، ٤

[2] حامد أحمد الطاهر : مجموعة أمهات المؤمنين للأطفال ، مرجع سابق صـ١٦٧

المصحف رفيقا لحفصة ـ رضي الله عنها ـ ونعم الرفيق هو .

ويتوفى أبو بكر ولا زال المصـــحف عندها ، وكذلك يلقى عمر ربه شهيدا ويبقى المصحف عندها . حتى تولى عثمان ـ رضي الله عنه ـ الخلافة ليجمع المسـلمون على مصـحف واحد ، وهو المصـحف الذي كان في دار حفصـــة فطلبه منها وجعل زيد بن حارثة ، وأبي بن كعب ، ومن معهما يكتبون نسخا أخرى من المصحف ثم أرسلوا هذه النسخ إلي بلاد المسلمين ، وبقيت النسخة الأصلية عند حفصة ـ رضي الله عنها ـ حتى لقيت ربها " [١]

ولا يخفى سـعي أدباء الطفل لتسـليط الضـوء على الدور الذي لعبته حفصة ـــ رضي الله عنها ـــ في حفظ المصحف ، مما يؤكد لدور المرأة الإيجابي في الحياة بصفة عامة واضطلاعها بأشد المواقف و أخطرها على الرغم من وجود الرجال .

٦- أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ :

لم تكن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ امرأة عادية فقد كانت " بنتا لرجل من أجواد العرب الذين عرفوا بالجود ، واشـتهروا بالكرم ، وزاد على ذلك أنه كان إذا خرج في سـفر كفى أصـحابه ورفاقه في السـفر من زاده ، وإذا صحب ركبا لم يدع أحدا من أهل الركب يحمل طعاما ، بل يطعم هو الركب من طعامه ، فكان من ذلك أن عرف واشـتهر بين الناس باسـم زاد الراكب . وكانت إلى جانب مجدها هذا على جانب عظيم من الجمال و الذكاء و قوة الشخصية "[٢]

وعلى الرغم من كونها من بيت كريم ، مشـهور بين العرب بالكرم فقد أسـلمت وحسـن إسـلامها ، وقاسـت وعانت ألوان العذاب من المشـركين " وبقيت أم سلمة إلى جانب زوجها تقاسي ما يقاسي من الآلام و العذاب حتى بايع الأنصار من أهل المدينة رسول الله ، فكانت هي وزوجها من أوائل من أعدوا أنفسـهم لترك ديارهم وبلدهم ، و المهاجرة إلى المدينة في سـبيل دين الله . ولكن هل استطاعت أم سلمة وزوجها أن ينجوا من إيذاء المشركين ، وأن ينفذا إلي مطلبهما من تربص المتربصـين ؟! لا ..! فقد كان المشـركون لا يزالون يطمعون في أن يردوا أم سـلمة وزوجها عن دين الإسـلام ، ولا

---

[١] المرجع السابق صـ ١٧٣

[٢] محمد أحمد برانق : مجموعة أمهات المؤمنين ، قصة أم سلمة ، مرجع سابق صـ٥

يزال في مقدورهم أن ينالوهما بالإيذاء ، وأن يفتنوهما بالتعذيب ."[1]

غير أن أم سلمة صبرت وتحملت شتى أنواع الإيذاء فقد حرمت من زوجها وحرمت كذلك من طفلها وجذبوه منها هي ممسكة به حتى خلع ذراعه ، كل ذلك وهي متمسكة بالإسلام فزاد الألم و المعاناة بعد موت زوجها متأثرا بجرح في غزوة أحد . ومما لا شك فيه أن بعد العسر يسرا ، ومن بعد الضيق فرج ؛ فتنال أمرا لا يخطر لها ببال حيث يتزوجها النبي ﷺ وكأن الله قد كافأها على ما تحملت من العذاب والألم .

ثم يسعى أدباء الطفل لتوضيح الدور الذي لعبته في مجال الدعوة الإسلامية لما تتمتع به من " رأي سديد ، وعقل بالغ ، ونظرة صائبة ، وهذا ما تجلي في يوم الحديبية في العام السادس للهجرة"[2] فقد كانت سببا في انفراج أزمة عصفت بالمسلمين حينما لم يستجيبوا طلب الرسول ﷺ لهم ، وأي خطر أشد من عصيان المسلمين أمرا من أوامر الرسول ﷺ ؛ وذلك أنه في العام السادس للهجرة غضب المسلمون من شروط الصلح الذي عقده الرسول ﷺ مع المشركين ؛ ظنا منهم بأنها جائرة ، حتى أنهم لم يستجيبوا طلب الرسول ﷺ بذبح الهدي و العودة إلى مكة بعد التحلل من الإحرام ، وهنا " دخل رسول الله ﷺ على أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ فذكر لها موقف أصحابه ، فلله ما أعقلها ؟!

قالت: يا نبي الله أتحب ذلك ؟ يعني : أن يطيعوا أمرك ؟

فقالت: اخرج ، ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنتك ، وتدعو حالقك فيحلقك.

وخرج رسول الله ﷺ إلى المسلمين فنحر بدنته ودعا الحلاق فحلق له...!!

وعندئذ قام الصحابة فنحروا وحلقوا ، بل كان بعضهم يحلق لبعض حتى كاد الغم أن يقتلهم .

وهكذا كانت أم سلمة سببا في طاعة المسلمين لأمر رسول الله ﷺ ، وما عاد المسلمون للمدينة حتى علموا أن الحق كان مع الرسول ﷺ "[3].

---

[1] المرجع السابق صـ ٩

[2] حامد أحمد الطاهر : مجموعة أمهات المؤمنين للأطفال مرجع سابق صـ ١٩٨

[3] المرجع السابق صـ ٢٠٣

إذن عمد أدباء الطفل لبيان دور أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ في الثبات على الإسلام ومناصرته في أوقات ضعف الدعوة ، كما بينوا دورها في رأب الصدع الذي ضرب بين المسلمين وبين الرسولﷺ من خلال ما اتسمت به من رأي سديد وعقل راجح .

٧ ـ السيدة جويرية بنت الحارث ـ رضي الله عنها ـ :

تنتسب السيدة جويرية بنت الحارث ـ رضي الله عنها ـ أيضا إلى قبيلة مشهورة وهي قبيلة خزاعة التي كانت لها السيادة قبل أن تكون لقريش، وكان أبوها زعيم بني المصطلق أحد بطون خزاعة ، وفوق رفعة نسبها فقد كانت " امرأة جميلة وضيئة ، تظهر ملامح الذكاء في وجهها ، والخير يتوسم في الوجوه الصباح ، كما توسمه عزيز مصر في وسامة يوسف ـ عليه السلام ـــ وحسنه . وكان أول من رأى جويرية هي السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـــ و المرأة تفهم المرأة ، وتلاحظ فيها ما يلاحظه الرجال وأكثر ؛ فرأت السيدة عائشة في وجهها أنها تصلح زوجة للنبيﷺ وأمّا للمؤمنين ، فوجهها يتوقد ذكاء ، ومنطقها عذب ، وملامح الجمال مرتسمة في محياها ، كما أنها ابنة سيد القوم "[1]

وكانت قبيلة بني المصطلق تكن العداء للنبي ﷺ ولما دارت رحى الحرب بينهم وقعت القبيلة كلها بين قتيل وأسير ، وهنا ترفض السيدة جويرية فكرة الأسر، وتذهب للرسولﷺ ليساعدها في أن تفتدى بنفسها من الأسر ، وتدور الأحداث فتسلم ثم تتزوج من الرسول ﷺ ويرفض المسلمون الإبقاء على أهلها ـ أصهار الرسول حينئذ ـ في الأسر فيعتقونهم ، ثم يسلمون جميعا طواعية ببركة هذه المرأة التي صارت أما للمؤمنين ، ويؤكد أدباء الطفل على دور السيدة جويرية بنت الحارث ـــ رضي الله عنها ـــ في عتق أهلها من الأسر ثم إسلامهم وعتقهم بالتالي من النار " لقد كانت جويرية امرأة مباركة ، أعتق الله بها قومها من الأسر ، وأعتقهم من النار لما آمنوا مع رسول الله ﷺ ودخلوا الإسلام طواعية . "[2]

ولم يقف دورالسيدة جويرية بنت الحارث ـ رضي الله عنها ـ عند هذا الحد ؛ بل " كانت لها من رواية حديث رسول الله ﷺ حظا ونصيبا

---

[1] حامد أحمد الطاهر : مجموعة أمهات المؤمنين للأطفال مرجع سابق صـ ٢٥٠

[2] المرجع السابق صـ ٢٥٢

فروت أحاديث عنه ـ عليه الصلاة و السلام ـ ورواها عنها الصحابة الكرام "[1]

إذن سعى أدباء الطفل لتسليط الضوء على المرأة ودورها ، وفكرها في الحياة ، من خلال ما حققته السيدة جويرية بنت الحارث ـــ رضي الله عنها ـ في حياتها من عتق نفسها ، واختيارها الإسلام وعتق أهلها وإسلامهم ، ثم رواية الحديث عن الرسول ﷺ ؛ لتكون مثلا يحتذي للنساء بأن يسلكن مسلكها في الحياة .

٨ـ أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ :

نظر الأدباء إلى أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ باعتبارها الأسوة و القدوة ؛ " فهي المخلصة لربها ، المتفانية في سبيل دينها وعقيدتها لمشاركتها في الهجرة فكانت عنوانا لتضحية المرأة المسلمة وقدوة تسير على طريقها ، ثم تعاونها مع الزوج فكانت المثل الأعلى للزوجة الصالحة ، وكانت تضحيتها الغالية بابنها في سبيل المبدأ و الرسالة و الدين ، وفوق كل ذلك هناك من الصفات ما ينبغي أن نتأسى بها ، ونضعها أمامنا لنسير على طريقها "[2].

لقد كانت أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ صاحبة فكر حر ؛ فمن ذلك أنها لما عرفت بالدعوة الإسلامية " ما كانت تخلو بنفسها إلا وتفكر في الدين الجديد الذي جاء به الرسول من عند ربه ، وتتشوق إلى معرفة المزيد حول هذا الدين ، وكيف تستطيع أن تعبد الله ؟ وهل سيؤمن به كل الناس في مكة ؟ إنها تريد مزيدا وبيانا لكل ما يجول في نفسها ! وبينما أسماء غارقة في تفكيرها ، سمعتدق الباب ، فاتجهت إليه لترى من الطارق ، وما كادت تفتح حتى وجدت نفسها أمام رسول الله ﷺ "[3]

كما كانت قوية العزيمة ، حسنة التصرف ، فبعد أن خرج والدها مهاجرا في صحبة الرسول ﷺ ، ذهب أبو جهل أشد أعداء الدعوة

---

[1] المرجع السابق صـ ٢٥٤

[2] إبراهيم محمد الجمل : أسماء بنت أبي بكر ـ ذات النطاقين ـ نهضة مصر القاهرة ٢٠٠٠ صـ ٤٢

[3] المرجع السابق : صـ ١٢

الإسلامية إلى بيت أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ليدور الحوار بينه وبين أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ:

" قال أبو جهل بصوت عال : افتحي يا بنت أبي بكر

فتحت أسماء الباب :

- أين أبوك ؟
- أبي خرج من البيت .
- متى خرج ؟
- لا أدري وقت خروجه
- إلى أين سار ؟
- لا أعرف مكانه .

لم يملك أبو جهل نفسه من شدة الغيظ ، فهوى على وجه أسماء بيده القوية ولطمها على وجهها لطمة وصلت إلى أذنها فشقتها وسقط القرط منها، وقد تخضب وجهها بالدماء . وقفت ثابتة لم تتزحزح رغم ما تعانيه من شدة الضربة ، أما أبو جهل فقد انسحب في خزي وعار ؛ وقد لامه أهل مكة على ضربه لأسماء من غير ذنب جنته " [1]. ولو أنها خافت أو ضعفت وأخبرت أبا جهل بمكان أو موعد خروج أبيها مع الرسول ﷺ لتغيرت ملامح الدعوة الإسلامية آنذاك .

ولم يقف أدباء الطفل على هذا الدور فحسب بل عرضوا أيضا لما قامت به من جهد ومشقة في سبيل توصيل الطعام و الشراب ليلا لأبيها وللرسول ﷺفي غار ثور، حتى أنه في الليلة الأخيرة لمكوثهما في الغار" صنعت أسماء سفرة فيها شاة مطبوخة ومعها سقاء ماء، وذهبت بهما مع أخيها إلى الغار ، حتى إذا دنا وقت الرحيل وقفت أسماء تساعد في ربط الأشياء ، وأرادت أن تعلق السفرة و السقاء ، ولم تجد ما تربط به ، وبحثت فلم تعثر على ما تريد ، ففكت نطاقها وشقته نصفين ، ربطت بأحدهما السفرة وبالآخر السقاء ، رآها الرسول ﷺ وهي تفعل ذلك فقال لها :

---

[1] المرجع السابق صـ ٢٢

(أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة) . ومنذ ذلك الحين سميت أسماء بنت أبي بكر بذات النطاقين"[1].

كما عرض أدباء الطفل لها هذا الموقف الخالد ، و الحكمة البليغة ، و التضحية العظيمة بابنها في سبيل نصرة الحق ؛ وذلك حينما استطاع ابنها عبدالله بن الزبير ـــ رضي الله عنهما ـــ أن يتسلل إليها ـــ وقد اشتد الحصار عليه من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي ـــ " قال عبد الله : أخاف يا أماه إن مت أن يمثلوا بجسدي .

قالت أسماء بنت أبي بكر كلمتها الخالدة : (لا يضر الشاة سلخها بعد ذبحها) دنا عبد الله منها أكثر وقبلها في جبينها وقال : هذا ـ والله ـ رأيي ما حدت عنه ، ولكني أحببت أن أعلم رأيك فزدتني بصيرة ، فانظري يا أماه فإني مقتول في يومي هذا ، فلا يشتد حزنك وجزعك علي ، وسلمي الأمر لله.

حبست الأم دموعها ، وتغلبت على ما يخالجها من آلام ، ثم قالت : إني لأرجو أن يكون عزائي فيك حسنا ، اخرج حتى أري ما يصير إليه أمرك "[2].

لقد سعى أدباء الطفل إلى توضيح شجاعتها الفائقة في الهجرة ؛ في مقابلتها لعدو الله أبي جهل ، وفي ذهابها ليلا لتحمل الطعام والماء للرسول ﷺ ولأبيها . كما أظهر الأدباء تضحيتها بكل عزيز وغال في سبيل المحافظة على العقيدة الصحيحة و التمسك بدين الله .

٩ ـ فاطمة بنت الخطاب ـ رضي الله عنها ـ :

حاولت كريمان حمزة أن تقدم الدور الذي لعبته فاطمة بنت الخطاب ـ رضي الله عنها ـــ في الدعوة الإسلامية ؛ ففضلا عن كونها اتخذت قرار الإسلام فقد أجرى الله ـ تعالى ـ على يديها الفضل في إسلام عمر ﷺ ؛ بما تتمتع به من شخصية ، وعزيمة وقدرة على الإقناع ؛ تقول كريمان حمزة :" ويخرج عمر ذات يوم متوشحا سيفه يريد قتل محمد ﷺ، وفي الطريق يقابل رجلا ويدور بينهما حوار فيعلم عمر بإسلام أخته وزوجها . ويغير عمر طريقه ليتجه إلى أخته وزوجها وهو غاضب وهنا تحدث المفاجأة ؛

---

[1] المرجع السابق صـ٢٣

[2] المرجع السابق صـ ٣٨

فيلين قلبه وينشرح صدره للإسلام ؛ اشتعلت النار في عمر واتجه غاضبا إلى بيت أخته فاطمة بنت الخطاب وكان عندها خَبَّاب بن الأرت ومعه صحيفة فيها سورة (طه) يقرئُهما إياها .. فلما أحسوا صوت عمر اختبأ : خباب في مخدع لهم .. وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة وأخفتها تحت فخذها .. وكان عمر قد سمع عندما دنا من البيت صوت القرآن يتلى ... فقال لها : ـ ما هذه الهمهمة التي سمعت ؟

ـ ما سمعت شيئا ..

ــ بلى والله سمعتُ .. ولقد وصلني نبأ إسلامكما ثم رفع يده ولطم سعيد بن زيد .. فقامت فاطمة تدافع عن زوجها فضربها عمر فشجَّها فسال دمها ثم قالت له مستسلمةً هذا ليس من حقك وقد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله .. فاصنع ما بدا لك ..

فلما رأي عمر ما بأخته من دم كفَّ وخجل .. وقال لها بصوت خفيض : أعطيني هذه الصحيفة لأنظر ما هذا الذي جاء به محمد . فنظرت أخته إليه ورأت أثر الندم في وجهه فطمعت في أن يدخل الإسلام فقالت له : يا أخي .. إنك نجس على شركك وإنه لا يمسُّها إلا الطاهر .. فقم فاغتسل أولا..

فقام عمر واغتسل وأخذ الصحيفة وراح يقرؤها..(بسم الله الرحمن الرحيم .. طه ما أنزلنا عليك القرآن لِتَشْقَى إلا تَذْكرةً لمَن يَخْشَى تنزيلاً ممن خلق الأرضَ والسَّماوات العُلَى ، الرحمنُ على العرشِ اسْتوى ، له ما في السَّماوات وما في الأرْض وما بينهما وما تحْت الثرى) . (وإن تجْهَرْ بالقول فإنَّهُ يعْلمُ السِّرَّ وأخْفي ، الله لا إله إلا هو له الأسماءُ الحُسْنى). (سورة طه : ١: ٨ وكان عمر مما يجيدون بلاغة الكلام فانشرح صدره فقال دون أن يدرى كأنما يحدث نفسه : ما أحسن هذا الكلام و أكرمه .. " [1]

١٠ ـ أم عمارة الأنصارية :

لم ينبهر كامل كيلاني بشخصية قدر انبهاره بشخصية أم عمارة الأنصارية ، وصارت لديه رمزا للتضحية و الوفاء ، حتى أنه استشهد في وصف عظيم ما صنعت ببيت المتنبي في رثاء والدة سيف الدولة الحمداني ؛ فمن

---

[1]كريمان حمزة : سيد الخلق مرجع سابق صـ ٧٨، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢.

خلال حوار بين أصدقاء ثلاثة يعرض كامل كيلاني لأم عمارة الأنصارية باعتبارها تمثيلا للفناء في سبيل الحق :

" – إن صورة أم عمارة الأنصارية صورة فريدة من صور البطولة النِّسْويَّة الخالدة ؛ إنها صورة رائعة لأشرف أمثلة الفدائية ، وأعلى نماذج الوفاء .

- ما ذكرتها أيها الصديقان إلا ذكرت قول المتنبي شاعر العربية العظيم ، حين وصف أم سيف الدولة :

فلوْ كانَ النساءُ كمثـــل هذي .. لفُضلتِ النساءُ على الرجالِ
فما التّأنيثُ لاسمِ الشمْسِ عيبٌ .. ولا التّذْكيرُ فخْرٌ للهـــلالِ

- ماذا صنعت أم عمارة ، أيها الباحث الدقيق ؟

- كانت تدور على الظامئين و العطاش من مجاهدي المسلمين أول النهار ـ و المعركة دائرة الرحى ، مشبوبة الأوار ـ تأسو الجريح وتسقي العطشان .

- ما أعجب ما تقول يارشـــاد ! كأنما تعي أن هذ المجاهدة العظيمة كانت تؤدي ـ منذ أربعة عشر قرنا ـ ما تؤديه جماعات " الهلال الأحمر " في هذه الأيام !

- ذلك ما أعنيه فأي عجب فيه ؟ لقد كانت تحمل على كتفيها السقاء !

- ماذا تعني بالسقاء ؟

- أعني قربة الماء .. كانت تدور بها ــ كما قلت ــ على المحاربين ؛ لتسقي منهم العطاش والظامئين .

- يا له من عمل إنساني جليل !

- فهل تدريان ماذا صـــنعت " أم عمارة " حين دارت رحى المعركة على المســلمين ، واســتبدلوا بالنصـــر خذلانا ؟ عز عليها أن تقف أمام الأعداء ضعيفة الحيلة ، مكتوفة اليدين.

- أتعني أنها اشتركت في الحرب ؟

- كيف تقول : اشــتركت في الحرب ؟ ألم يكن صــنيعها منذ بدأت المعركة اشتراكا في الحرب ؟

- بلى ولكنك تعده عملا هينا فتقول " إنها لم تشأ أن تقف مكتوفة الأيدي "

- كان عملها ـ على فضله ـ جهادا هينا إذا قيس إلى ما صنعته بعد !

- ماذا صنعت ؟

- رمت قربة الماء وألقت بها جانبا ، واستبدلت بها السيف و القوس .

- الله أكبر .. لكل مقام مقال !
- ولكل وقت أسلوب من أساليب النضال .
- فراحت أم عمارة المجاهدة المستبسلة تضرب الأعداء بسيفها وترميهم من قوســـها بنبالها لا تدخر في ذلك جهدا ؛ حتى أثخنتها الجراح فهوت على الأرض منزوفة الدماء خائرة القوى .
- يا لها من فدائية عظيمة النفس ، كبيرة القلب . "[1]

فالمؤلف يرى أن صـــنيعها مضـــرب المثل في البطولة و الفداء و التضـحية ، ويوضـح ذلك من خلال صـورتين ؛ أما الصـورة الأولى فتتمثل فيما يسـمي اليوم خدمة الهلال الأحمر من سـقاية العطشـى في المعارك ، أما الصـورة الثانية فتتمثل في إمسـاكها بالسـيف والقوس ومجابهة الأعداء حتى وقعت على الأرض من شدة جراحها .

11 - الخنساء :

ســعي إبراهيم ضــمرة في مســرحه المدرســي تقديم النموذج الذي يقتدي به الطلاب ، في أسلوب يجمع بين الشعر و النثر وهو بلا جدال يؤمن بأهمية المسرح المدرسي لأنه " المعمل الذي يختبر فيه الطفل إبداعاته فينمو عن طريقه جســميا وذهنيا واجتماعيا. وبه يملك الطفل القدرة على ســبر أغوار الماضي و التعرف على شخصياته وحمل الأفكار الخلاقة لجيل مبدع يستطيعاجتياز أزماته" [2].

كتب إبراهيم ضــمرة مســرحية " الخنســاء" في إطار المســرح المدرســي وقد راعى في كتابته " الذوق الفني لطلابنا وطالباتنا وأن تعمق اتصــاله بجذوره التاريخية وأن يقتبس الناشــئة من عمق التاريخ العربي والإسلامي الأفكار و العادات العربية الأصيلة "[3] ؛ وقد بدأ المؤلف مسرحيته بتقديم يعرف فيه الناشئة بشخصية الخنساء " تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ، لقبت بالخنساء لقصر أنفها وارتفاع أرنبتيه .ولدت الخنساء عام

---

[1] كامل كيلاني : من حياة الرسول ، قصة ذكريات أحد ، مرجع سابق صـــ١٥ ، و١٦ ، ١٧

[2] إبراهيم ضمرة : سلسلة المسرح الإسلامي " مسرحية الخنساء " دائرة المكتبات و الوثائق القومية ، الأردن ١٩٨٨صـ٥

[3] المرجع السابق صـ٦

٥٧٥ م أي أواخر الجاهلية وعاشـــت فيها ، وأدركت الإســـلام ،فهي من الشعراء المخضرمين . أما أبوها عمرو فقد كان ذا ثروة وجاه وكان مرموقا في مجتمعه "[١]

يبدأ المؤلف مســرحيته بحوار بين راويين يتحدثان عن ســعي دريد بن الصمة ـ سيد بني جشم ـ يقول المؤلف :

الراوية الأول :وفي بادية الحجاز حيث أناخ ركب بني جشم رواحلهم .

الراوية الثاني : وانطلق فارســهم دريد بن الصــمة على فرســه في رياضــة قصيرة .

الراوية الأول : رأى فتاة شابة ..لافتة الملامح .

الراوية الثاني : خنساء الأنف ..ممشوقة القوام

الراوية الأول : تعالج بعيرا لها أصابه الجرب ، وقد تبذلت .

الراوية الثاني : وبقي دريد يتبعها وقد عرفها . ويرســـل لمعاوية أنه قادم لخطبتها "[٢] ثم يعرض الأب على ابنته أمر دريد ورغبته في الزواج منها فترد قائلة " أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح ،مقبلة علي شـــيخ بني جشم الهالك اليوم أو غدا "[٣]. ثم تتزوج من أحد أقاربها الذي كان مقامرا فتطلق منه ثم تتزوج المرداس السلمي.

تلك كانت المرحلة الأولي من حياة الخنســـاء ، أما المرحلة الثانية فتتمثل في وفاة أخويها ؛ معاوية وصخرا ، فتتأثر لموتهما وتحزن وتقول في ذلك شـــعرا يعتصـــر ألما ويري المؤلف أن موت صـــخر كان بمثابة مولد شاعرة قل أن يجود الزمان بمثلها ؛ يقول المؤلف :"

الراوية الأول : مات صخر .

الراوية الثاني : وانتهت بذلك آمال الخنساء .

الراوية الأول : ويسجل التاريخ مولد شاعرة .

الراوية الثاني : قدر لها أن تشغل مكانا بين شعراء العربية .

الراوية الأول : وتوقف بموت صخر قطار الزمن فما يعنيها بعد صخر أحد

آلا ليـتَ أمّي لمْ تلـدني ســـويَّـةً وكنـتُ تُرابـاً بَينَ أيْـدي القَوابِـل

---

[١] المرجع السابق صـ١١

[٢] المرجع السابق صـ١٥

[٣] المرجع السابق صـ١٩

وخَرّتْ على الأرْضِ السّـماءُ فطبّقتْ وماتَ جَميعاً كلُّ جافٍ وناعِلِ
غداةَ غدا ناعٍ لصخرٍ فراعني و أورثني حزناً طويلَ البلابلِ
فقلتُ لهُ: ماذا تَقولُ؟ فقالَ لي: نعى ما ابنُ عمرٍو اثكلتهُ هوابلي
فأصبحتُ لا التذّ بعدكَ نعمةً حياتي ولا ابكي لدعوةِ ثاكلِ

ويقترب ابناها منها وقد بدت كالحة الوجه ، غائرة الملامح .

العباس : أماه هوني عليك .

أبو شجرة : و أرفقي بنفسك .

الخنساء : ماذا تقولان ؟ أبعد صخر تجف دموعي ؟! "[1]

ويبرز المؤلف موهبتها وتفوقها على حسان بن ثابت حينما أقر لها النابغة بأنها أشعر من في السوق ثم تأتي المرحلة الثالثة حينما دخلت هي وأبناؤها الأربعة في الإسلام ؛ فتجد في الإسلام ما يعوضها ثم لا تلبث أن تدفع بأبنائها إلى المشاركة في الفتوحات الإسلامية ؛ فتقول لهم " أي بني ..إنكم أسلمتم طائعين ... وهاجرتم مختارين ...وإنكم لبنو أب واحد وأم واحدة ، فلا خنت أباكم ولا فضحت أخوالكم ، ولا هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم ،وقد تعلمون ما أعد الله تعالي للمؤمنين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين ، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية يقول الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) صدق الله العظيم فإذا رأيتم الحرب شمرت عن ساقها فتيموا وطيسها ، و جالدوا رسيسها تظفروا بالغنى و الكرامة في دار الخلود و المقامة .

الشباب في صوت واحد : أبشري يا أماه سنريك ما تقر به عينك وعين أمير المؤمنين / فإنا الصادقون في اللقاء .. الصابرون علي المكاره .

الخنساء : وداعا يا بني لعلي لا ألقاكم أبدا ."[2] ويتحقق حدسها فيأتيها خبر استشهادهم جميعا فتحمد على ما قدموه للإسلام . وتدعو الله أن يجمعها بهم في الجنة .

وبعد فقد قدم الأديب حياة الخنساء في عمل فني لتكون قدوة ، ونبراسا يأخذ الناشئة منها العظات و العبر ؛ فقد كانت :

---

[1] المرجع السابق صـ٣١

[2] المرجع السابق : صـ٤٧

ذات حسب وجمال وبيت كريم
قررت من تتزوج وقد رفضت سيد بني جشم
قررت الدخول في الإسلام
رغبت أبناءها في الشهادة

١٢ - هند بنت عتبة - رضي الله عنها - :

أسلمت هند بنت عتبة بعد فتح مكة ، وبايعت الرسول ﷺ على الإسلام مع أنها قد فجعته في عمه حمزة بن عبد المطلب . ومما لا شك فيه أنها أقبلت على الإسلام طواعية ،وقد رأت الإسلام انتشر، فأدركت أنها كانت على خطأ . وعلى الرغم من موقفها العدائي للإسلام قبل أن تعلن إسلامها ، وأنها قد نالت من الإسلام منالا صعبا ففجعت المسلمين في حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه ـــ فإنها مثال على المرأة التي لا تقف عند حدود معينة بل تتطلع لأن تقوم بدور ايجابي اتجاه ما تؤمن به من فكر ومعتقدات ، لذلك أقسمت بعد غزوة بدر - وقد قتل حمزة - رضي الله عنه - أباها وعمها وأخاها - أن تثأر من قتلهم وأن تنال من حمزة - رضي الله عنه - ؛ يقول المؤلف :

" - فمن اختارته لتنفيذ هذا الجرم الشنيع ؟

- اختارت وحشيا
- أتعني ذلك الحبشي الجريء ؟
- ولماذا اختارته دون غيره لإنجاز هذا الإثم الكبير ، و الشر المستطير؟
- كان وحشي بارعا في الرمي بالحراب ، وكان أطوع لهند من بنانها.
- فكيف استثارته ؟
- منّتْه الأماني ، وأجزلت له المكافأة ..فلما دبت الهزيمة في صفوف المشركين ، كاد فؤادها يحترق على ضياع الفرصة بعد أن فرت وفر معها قومها .
- وفر وحشي معها في صفوف الهاربين " [١]

إلا أن الفرصة قد سنحت لها عندما خالف المسلمون تعليمات رسول الله ﷺ ونزلوا لجمع الغنائم فانتهز المشركون الفرصة ونالوا من المسلمين ،

---

[١] كامل كيلاني : من ذكريات أحد ، مرجع سابق صـ ٤٩

وسنحت الفرصة لوحشي فنالت حربته من حمزة ـــ رضي الله عنه ـــ ولم تصدق هند ما حدث فذهبت لتتأكد بنفسها " فلم تكد ترى قاتل أبيها صريعا حتى طغى عليها جنون الفرح ، فاندفعت إلى جثته تقطع أوصالها ، وتمزق أطرافها، وتسمل عينيه ، وتجدع أنفه و تصلم أذنيه ، وتبقر بطنه ، وتفتن في التمثيل به افتنانا " [1]

وعلى الرغم من سوء صنيعها فإن ما فعلته هند ـــ رضي الله عنها ـــ قبل إسلامها ، دليل على مشاركة المرأة وإسهامها في المجتمع ، وقدرتها على التعامل في المواقف المختلفة التي يظن أنها من صنع الرجال فقط ، وأشد من ذلك أنها لما اقتنعت بالدين الإسلامي أسلمت وبالتالي فأدباء الطفل أرادوا التأكيد من خلال عرضهم لمثل هذه القصص على ما للمرأة من فكر حر مستقل ومشاركة للرجل في كافة الأمور .

ثانيا الدراسة الفنية :

أولا :ـ اللغة والأسلوب :

اللغة هي الصورة النهائية المقروءة أو المعبرة عما يختلج في صدر الأديب من فكر وأخيلة وأحاسيس ، وعلى قدر تمكنه اللغوي وثقافته اللغوية يكون أكثر تعبيرا ـــ أو إن شئت فقل ـــ إيضاحا لمكنون خواطره ؛ " فاللغة وسيلة من وسائل التعبير عن الأفكار و المشاعر و المقاصد ، وعامل مهم من عوامل الحياة الفكرية و القومية..... بها يتواصل الناس ويتفاهمون في الجيل الواحد ، وبها ينقلون حضارتهم وخصائصهم القومية من جيل إلى جيل " [2].

واتسمت اللغة في أدب الطفل بعدد من السمات أهمها: السهولة، استخدام الفصحى ، التنوع بين الأساليب ، قصر الجمل .. وغير ذلك من السمات التي تراعي الطفل وقدراته وعمل في الوقت ذاته على إمداد الطفل بثروة لغوية تساعده على كسب القيم و الثقافات المتعددة وبناء حضارة فكرية .

- سهولة اللغة :

---

[1] المرجع السابق صـ ٥٠

[2] غازي طليمات ، عرفان الأشقر: الأدب الجاهلي قضاياه أغراضه فنونه أعلامه ، دار الإرشاد سوريا ط١ ١٩٩٢صـ١١

من الصـــعوبة بمكان التعبير عن الأفكار بصـــورة أدبية وفي الوقت ذاته تضـمين العمل الأدبي أهدافا والعمل علي إكسـابها للأطفال في ضـوء التقيد بألفاظ بسـيطة يسـتطيع الأطفال إدراكها . إن تخير الألفاظ السـهلة في العمل الأدبي ليس أمرا يسـيرا بل هو أمر صـعب لا يقدر عليه إلا من أربى على قدرة الأديب و العالم اللغوي في آن واحد ؛ إن الموهبة الأدبية تحتاج إلى عالم باللغة يعرف تعددها اللغوي ؛ فيعرف الألفاظ المتعددة التي تعبر عن المعنى الواحد ويتخير منها ما يناسب العمل الفكرة و الطفل معا .

وقد كان أدباء الطفل على وعي تام بهذه القضـــية ، فتخيروا لغة بســـيطة قريبة من أفهام الأطفال دون تكلف حتى لا يصـــعبوا الأمر على الأطفال في فهم المعاني ، فكانوا يتخيرون أقرب الطرق ، وأســـهل الكلام ، وأوضح المعاني للأطفال ؛فإذا نظرنا إلى لغة حامد أحمد الطاهر في وصف السيدة جويرية ــ رضي الله عنها ــ نلمح بساطة لغته ، وقربها للأطفال يقول :" امرأة جميلة وضيئة ، تظهر ملامح الذكاء في وجهها ، والخير يتوسم في الوجوه الصباح ، كما توسمه عزيز مصر في وسامة يوسف ــ عليه السلام ـ وحسنه . وكان أول من رأى جويرية هي السيدة عائشة ـــ رضي الله عنها ـ و المرأة تفهم المرأة ، وتلاحظ فيها ما يلاحظه الرجال وأكثر ؛ فرأت السيدة عائشـة في وجهها أنها تصـلح زوجة للنبيﷺ وأمّا للمؤمنين ، فوجهها يتوقد ذكاء ، ومنطقها عذب ، وملامح الجمال مرتســمة في محياها ، كما أنها ابنة سـيد القوم "[1]. فالفقرة السـابقة تزخر بمعان كثيرة في ثوب لغوي بسـيط دون إغراق في الصـعوبة أو تكلف للغة فلا نجد كلمة واحدة تتعصـي على الطفل أو يحتاج الطفل إلى قاموس لاستخراج معناها . ومن أمثلة هذه اللغة البسيطة شعر محمد عايش عبيد حول السيدة آمنة رضي الله عنها إذ يقول :

كانت لوهْب ابنةٌ هي دُرةٌ مثْل القمـرْ
حسناءُ تُدعى آمنة ، فيها حياءُ في خفرْ
كانت خيارَ بنات مكة ، زانها بُعْدُ النظرْ
عقدوا عليها للغلام ، وهكذا شاء القـدرْ[2]

فالشـــاعر اســـتطاع أن يقدم فكرته في قالب شـــعري مســـتخدما كلمات

---

[1] حامد أحمد الطاهر : مجموعة أمهات المؤمنين للأطفال مرجع سابق صـ ٢٥٠
[2] محمد عايش عبيد : " تغريدة السيرة النبوية " دار التراث ١٩٨٥جـ١ صـ٤٦

بسـيطة قريبة الفهم ، قوية التأثير ؛ فالشـاعر لم يسـتخدم لفظا واحدا يحتاج الطفل معه لقاموس لغوي وفضـلا عن ذلك فقد اختار الألفاظ المعبرة القادرة على إبراز فكرته .

- التنوع في الأساليب اللغوية :

لم يقف أدباء الطفل على أسلوب بعينه بل تنوعت أساليبهم اللغوية وهذا يدل على تمكنهم اللغوي ومهارتهم في عرض الأفكار مما يحفز الأطفال ويشوقهم للإقبال على العمل الفني وعدم الملل ؛ فمثلا استخدموا الأسلوب الإنشائي ، والإنشاء " لغة الإيجاد ، واصطلاحا ما لا يحتمل الصـدق و الكذب لذاته " [1] . من ذلك قول الحوار الذي صـاغه المؤلف بين أبي جهل وأسماء ـ بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ :

" قال أبو جهل بصوت عال : افتحي يا بنت أبي بكر

فتحت أسماء الباب :

- أين أبوك ؟
- أبي خرج من البيت .
- متى خرج ؟
- لا أدري وقت خروجه
- إلى أين سار ؟
- لا أعرف مكانه " [2].

فلا يخفى ما لهذا التنوع في الأسـاليب ما بين الأسـلوب الخبري والأسلوب الإنشائي من جذب انتباه الأطفال ، وجعلهم في شغف دائم لمعرفة نتيجة الحوار.

اللغة الفصحى :

مما لاشـك فيه أن اللغة الفصـحى تزخر بجوانب متعددة من المميزات؛ فهي تشتمل على المعاني الجميلة والصور المعبرة القادرة على تنمية الذوق الحسـي لدى الأطفال ، كما أنها تربط الطفل بماضـيه وتراثه، وفضـلا عن كل ما سـبق فإنها تتجاوز حدود الزمان و المكان فتفهمها كل الأجيال ، بخلاف الأعمال الفنية التي كتبت باللهجات العامية التي كثيرا ما

---

[1] السيد أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة ، المكتبة العصرية ، لبنان ط٢ ١٩٩٩ صـ٦٩

[2] إبراهيم محمد الجمل : أسماء بنت أبي بكر ، مرجع سابق صـ ٢٢

يقتصر فهمها على البيئة التي ولدت فيها .

ويرى كثير من الباحثين أن من يستخدم الكلمات العامية فذلك لأنه عاجز عن معرفة الكلمة الفصحى التي تعبر عن المعنى " فالذي يحشر في كلامه لفظة عامية ، يفعل ذلك لعجزه عن التعبير بلفظة فصيحة تؤدي المعنى "[1]. بل يرفض الباحثون مجرد استخدام بعض الكلمات العامية وسط الأدب الفصيح " أما أن نتحدث عن الأدب الفصيح ونقبل فيه الألفاظ و التعابير العامية دون اضطرار ، فهذا لعمري جهل لما نحن صانعون وخلط مردود "[2].

ولقد كان أدباء الطفل على وعي تام بأهمية اللغة الفصحى في أعمالهم الفنية ؛ لذا قدمت جميع الأعمال الأدبية بلغة فصحى بسيطة ، بعيدة كل البعد عن العامية ؛ فإذا نظرنا إلى قول كامل كيلاني وهو يصف سعي هند بنت عتبة للنيل و الثأر من قتلى بدر " - فمن اختارته لتنفيذ هذا الجرم الشنيع ؟

- اختارت وحشيا
- أتعني ذلك الحبشي الجريء ؟
- ولماذا اختارته دون غيره لإنجاز هذا الإثم الكبير ، و الشر المستطير ؟
- كان وحشي بارعا في الرمي بالحراب ، وكان أطوع لهند من بنانها .
- فكيف استثارته ؟
- منّتْه الأماني ، وأجزلت له المكافأة ..فلما دبت الهزيمة في صفوف المشركين ، كاد فؤادها يحترق على ضياع الفرصة بعد أن فرت وفر معها قومها .
- وفر وحشي معها في صفوف الهاربين " [3] . نجد أن المؤلف قد عرض فكرته بلغة فصحى بليغة دون استخدام كلمات صعبة ، فلا نجد كلمة تحتاج إلى قاموس أو تفوق قدرة الطفل على استيعابها .

- قصر الجمل :

نلاحظ أيضا أن أدباء الطفل قد اعتمدوا على الجمل القصيرة في عرض أفكارهم مما يسهل على الأطفال إدراك المعنى بدون مشقة ؛ من

---

[1] صلاح الدين مليك : فصول في الأدب و النقد ط١ ١٩٧٨ صـ٧٣
[2] عز الدين الأمين : نظرية الفن المتجدد ، القاهرة ط١ ١٩٦٤ صـ ٤٠
[3] كامل كيلاني : ذكريات أحد ، مرجع سابق صـ ٤٩

ذلك قول المؤلف واصفا الراحة والطمأنينة التي حلت على السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـــ بعد تتابع نزول الوحي : "وأثلج صدر خديجة ، وسكنت نفسها ، واطمأن قلبها ، وتبددت مخاوفها "[1]، نجد أن المؤلف عمد إلى الجمل القصيرة المتتابعة في وصف الهدوء الذي نعمت به السيدة ـــ خديجة رضي الله عنها ـــ بعد نزول الوحي ، وفي سياق وصف عذاب الكفار للرسول ﷺ استخدم المؤلف أيضا الجمل القصيرة المتتابعة إذ يقول : " ونالوه بالإساءة ، ووالوه بالسخرية ، ورموه بكل ما يكره من بذيء القول ، وفاحش الكلام، ونعتوه بالجنون و السفه ، واتهموه بالكهانة و السحر وحب الشهرة " [2].

ونخلص مما سبق بأن أدباء الطفل قد استطاعوا تحقيق المعادلة الأصعب ؛ إذ قدموا موهبتهم الفنية في قالب لغوي فصيح بألفاظ بسيطة تتناسب ومستوى الطفل دون الإسفاف أو استخدام الألفاظ العامية ، وهذا جهد يحسب لهم فضلا عما يتضمنه العمل الفني من مضمون يسلط الضوء على مكانة المرأة ومشاركتها الاجتماعية .

ثانيا :ـالسرد و الحوار :

السرد في اللغة :"تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقا بعضه في أثر بعض متتابعا . سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه . وفلان يسرد الحديث سردا إذا كان جيد السياق له . وفي صفة كلامه ، صلى الله عليه وسلم ، **لم يكن يسرد الحديث سردا** أي يتابعه ويستعجل فيه . وسرد القرآن : تابع قراءته في حدر منه . السرد المتتابع . وسرد فلان الصوم إذا والاه وتابعه"[3]. ويعرفه الباحثون بأنه " الكيفية التي تروى بها القصة عن طريق هذه القناة نفسها ، وما تخضع له من مؤثرات ، بعضها متعلق بالراوي و المروي له ، والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها "[4]. أما الحوار فيعرفه عبد الملك مرتاض بأنه " اللغة المعترضة التي تقع وسطا بين المناجاة و اللغة

---

[1] محمد أحمد برانق : مجموعة أمهات المؤمنين ، قصة (خديجة سيدة نساء الجنة) مرجع سابق صـ١٠

[2] المرجع السابق صـ١٧

[3] ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر بيروت ط٤ ١٩٩٩ ، م ٧ صـ١٦٥

[4] حميد لحمداني : بنية النص السردي ، المركز الثقافي العربي للنشر و التوزيع ، المغرب ط٣ ٢٠٠٠ صـ٤٥

السردية ، ويجري الحوار بين شخصية وشخصية "[1].

ومما لا شـــك فيه قدرة المؤلف وموهبته في التعبير عن موضـــوعه ، وعن الأحداث والشـــخصـــيات يعكس مدى تمكنه وموهبته الســـردية . ولقد اسـتخدم أدباء الطفل عددا من أنماط السـرد ؛ فاسـتخدموا السـرد باسـتخدام ضمير الغائب من ذلك قول ما قاله المؤلف عن السيدة عائشة ـــ رضي الله عنها ــ فى اهتمامها بالنبي ﷺ ؛ فقد" كانت تحبوه بحبها ، وتحيطه بعنايتها ، و تهيئ له أســباب الراحة بكل ما تقدر عليه ، وتعمل ما وســعها لتجعل كل أوقاته التي يقضـــيها بجانبها هناءة ، وكل ســـويعاته التي يكون فيها بقربها سـعادة . وكانت تتألم حين تراه يقسـو على نفسـه في التقشـف"[2].فنجد الأديب يسـرد أحداث قصـته مسـتخدما ضـمير الغائب ، مما يحيط سـرده بهالة من القدسية فيقول ما يشاء ، ويوجه أحداث القصة كيفما يريد فهو الوحيد المتحكم فى سير أحداث القصـة . وفضـلا عن ذلك فإن هذه الطريقة تتناسب مع سرد الحكاية المتعلقة بالزمن الماضي .

كما استخدم الأدباء طريقة الراوية من ذلك سرد المؤلف لآراء عدد من الصحابة و التابعين و العلماء حول علم السيدة عائشة ـــ رضي الله عنها ـ الغزير ومعرفتها الجمة "يقول ابن أختها عروة بن الزبير ــ رضي الله عنهما ـ لقد صحبت عائشة ، فما رأيت أحدا قط أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة ، ولا بسنة، ولا بشعر ، ولا بيوم من أيام العرب ، ولا بنسب ، ولا بقضاء ، ولا بطب منها .

فقلت لها : يا خالة ، الطب من أين علمته ؟ فقالت : إن رســـول الله ﷺ كان يســـقم في أواخر عمره وكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه ، فتنعت له الأنعات ، وكنت أعالجها له ، فمن ثم . وكنت أســـمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه .

وعن حفظها للشعر يقول الإمام الشعبي : قالت عائشة : رويت للبيد نحوا من ألف بيت !، ويقول أبو موسي الأشعري ـــ رضي الله عنه ـــ : ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها

---

[1] عبد الملك مرتاض : في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السـرد) دار الغرب للنشـر و التوزيع ، الجزائر ٢٠٠٥ صـ ١٧٦

[2] محمد أحمد برانق : قصة السيدة " عائشة " مرجع سابق صـ ٨

منه علما ."[1].

كمااستخدم الأدباء أيضا المنولوج وهو "تكوين كلامي ، فردي الروح ، يُلقى أو يكتب ، وبهذا فهو يمثل كلام متحدث واحد" [2].ومن هنا فهو يسعى إلى تصوير الشخصية من الداخل والخارج على السواء وهو أسلوب يعتمد على " المزج بين فكر الشخصية المفكرة نفسها وبين فكر السارد وأسلوبه ورؤيته بحيث يأتي كلام السارد مع فكر الشخصيات مصوغا بضمير الغائب الدال على الشخصية المفكرة ذاتها " [3] . وتظهر قيمته في الكشف عن أغوار النفس البشرية ، وما يدور بداخلها من صراع نفسي وفكري ينعكس على تصرفاتها ويجعلها تأخذ وتنهج سلوكا ما ، فضلا عن ذلك فإن عرض الفكر الداخلي للشخصية يجعل المتلقي يشارك الشخصية في صراعها الفكري و النفسي فيندمج مع أحداث العمل الفني .

من ذلك الحوار الداخلي الذي صاغه المؤلف حول تفكير أسماء بنت أبي بكر ــ رضي الله عنهما ــ حول ما عرفته عن الدعوة الإسلامية " ما كانت تخلو بنفسها إلا وتفكر في الدين الجديد الذي جاء به الرسول ﷺ من عند ربه ، وتتشوق إلى معرفة المزيد حول هذا الدين ، وكيف تستطيع أن تعبد الله ؟ وهل سيؤمن به كل الناس في مكة ؟ إنها تريد مزيدا وبيانا لكل ما يجول في نفسها ! وبينما أسماء غارقة في تفكيرها ، سمعت دق الباب ، فاتجهت إليه لترى من الطارق ، وما كادت تفتح حتى وجدت نفسها أمام رسول الله ﷺ "[4] .

وكان للاسترجاع أو ما يسمى بالإنجليزية flashback دور مهم في العمل الأدبي فحينما اختارت خديجة ـ رضي الله عنها ـ محمدا ﷺ للخروج بتجارتها، فمر الرسول ﷺ من نفس الأماكن التي كان يسير بها أيام ذهابه مع عمه أبي طالب " وظلت القافلة تتابع سيرها حتى وصلت إلى بلد يدعى بصرى قرب الشام ، فأنزل الرجالُ الأحمال عن الجمال كي ينالوا قسطا من

---

[1] حامد أحمد الطاهر : سلسلة أمهات المؤمنين للأطفال ، مرجع سابق صـ ١٢٢ ، ١٢٣

[2] إبراهيم حمادة : معجم المصطلحات الدرامية ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٨٥ صـ٣٢٣

[3] عبد الرحيم الكردي : السرد في الرواية المعاصرة ، القاهرة ط١ ٢٠٠٥ صـ٢٢٠

[4] إبراهيم محمد الجمل : قصة (أسماء بنت أبي بكر) مرجع سابق صـ ١٢

الراحة وكان محمد ﷺ قد جاء إلي هذا المكان قبل ثلاث عشـرة سـنة مع عمه أبي طالب عندما رافقه في تجارته إلى بلاد الشـام ، فوجد الشـجرة الكبيرة التي اسـتلقى في ظلها يوم كان مع عمه أبي طالب لا تزال على حالها، فذهب محمد واستلقى في ظلها "[1]

و الاسـتحضـار أو الاسـترجاع هو انقطاع التسـلسـل الزمني أو المكاني للقصـة أوالمسـرحية لاسـتحضـار مشـهد أو مشـاهد ماضـية متعلقة بالموقف الحالي .ولا يخفى ما يتضمنه هذا الاسترجاع من تشويق وإثارة ، فضلا عما يشـير إليه من مهارات الأديب الفنية في الربط بين أمور جديدة وقديمة .وقد دار هذا الاسـترجاع أيضـا في قصـة أم حبيبة حيث " وانتقلت أم حبيبة بخيالها إلى الماضـي البعيد . فرأت نفسـها في بيت أبيها أبي سفيان بن حرب سـيد بني أمية ، وكبير آل عبد شـمس وهي بعد فتاة شـابة في نحو السـادسـة عشـرة من عمرها ، وطاف بذهنها ما كان يدور وقتئذ بمجتمعات مكة , وبدار ندوتها من أحاديث حول السـيل الجارف الذي انحدر إلى مكة من أعالي الجبال المحيطة بها ، فهدم كثيرا من منازلها، وصـدع جدران الكعبة، بيت الله الحرام، وبيت عبادة أهل مكة ، وموئل أصـنامهم ، و التي يأتي الناس إليها من حدب وصـوب ليطوفوا بها، ثم كيف فكر أهل مكة من قريش في هدم الكعبة " [2] .

ومما لا شـك فيه أن هذا الاسـترجاع و الانتقال إلي الوراء يعطي الإحساس بالزمن وبالعصر وبالمكان والمناخ العاطفي المناسب الذي يجعل من الأطفال يتعايشون في هذا العصر الزمني ، كما يقدم تلميحات عن الحياة وطبيعتها من جبال وسـيول وبيت يأوي إليه الناس من كل حدب وصـوب للعبادة وغير ذلك من الأمور التي يعكس للطفل نمط الحياة آنذاك، وفضـلا عن ذلك ففيها تمهيد لما سـيأتي من أحداث ؛ مما يؤهل الأطفال لفهم ما يستجد من أحداث .

ثالثا :ـ الشخصيات :

تعرف الشـخصـية باعتبارها "أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين

---

[1] سـميح عاطف الزين ، عبد التواب يوسـف : قصـص الأنبياء للأبناء ، دار الكتاب المصري ط١ ١٩٩١صـ٣

[2] محمد أحمد برانق : مجموعة أمهات المؤمنين ، قصة أم حبيبة مرجع سابق صـ٦

الذين تدور حولهم أحداث القصة أو المسرحية " [1]، وهي المحور "الذي تدور حوله القصـــة كلها لا معنى ولا وجود لأية قصـــة إلا بما فيها من شخصيات"[2]، وتحظى الشخصيات باهتمام القراء؛ لأنهم "يبحثون عن القصـــة التي تقدم لهم شـــخصـــيات حية، فهم يســـعون إلى التعرف إلى شـــخصـــيات جديدة ، إلى مراقبة مشـــكلات الحياة وهي تتفاعل مع شخصيات إنسانية يسهل عليهم فهمها وإدراكها "[3]. ومن هنا كلما كانت الشخصيات متنوعة وأكثر فاعلية وحركة ونشاطا كان أثرها على القراء أقوى وانجذابهم لها أكبر ، واندماجهم مع العمل الفني أوســع . ولذاكان لزاما على كاتب العمل الفني أن يراعي في تقديمه للشـخصـية التاريخية أن يبتعد عن التقريرية المباشرة دون أن يمس أي حقيقة تاريخية مرتبطة بها ؛ فيقدمها بصورة فنية جديدة تتضمن أهدافه وتعكس رؤيته من خلال تصرفات الشخصية و مواقفها التاريخية .

ولقد حاول أدباء الطفل أن يبثوا رؤيتهم للأحداث المعاصـــرة ويعبروا عن قضاياهم العامة، والخاصة من خلال تناول الأبعاد المختلفة للشخصيات وهنا" تكمن شخصية المبدع الذي يعيد صياغة الشخصية التراثية لتتوافق مع التعبير الفني الجديد، وفقا لطريقته في معالجة التراث ووعيه به"[4]. واستخدموا في ذلك تقديم الشخصية ووصف أبعادها المختلفة من بعد شكلي واجتماعي ونفسي وفكري . فمن الوصف الشكلي الذي يتناول شكل وهيئة الشخصية؛ قول الكاتب عن السيدة جويرية بنت الحارث ـ رضي الله عنهاـ : "امرأة جميلة وضيئة ، تظهر ملامح الذكاء في وجهها ، والخير يتوسم في الوجوه الصباح ، كما توسمه عزيز مصر في وسامة يوسف ــ عليه السلام ـ وحسنه . وكان أول من رأى جويرية هي السيدة عائشة ـــ رضي الله عنها ـ و المرأة تفهم المرأة ، وتلاحظ فيها ما يلاحظه الرجال وأكثر ؛ فرأت السيدة عائشة في وجهها أنها تصلح زوجة للنبيﷺ وأمّا للمؤمنين ، فوجهها يتوقد

---

[1] مجدي وهبة ، كامل المهندس : معجم المصـطلحات العربية في اللغة و الأدب ، بيروت ط٣ ١٩٨٤ صـ٣٠٨

[2] حسين القباني : فن كتابة القصة ، بيروت صـ٦٨

[3] محمد يوسف نجم: فن القصة، دار صادر بيروت، ١٩٩٦ ص٤٧، ٤٨

[4] صلاح فضل:منهج الواقعية في الإبداع الأدبي،دار المعارف،القاهرة ط٥ ١٩٩٥ص١٠٩

ذكاء ، ومنطقها عذب ، وملامح الجمال مرتسمة في محياها "[1] . نجد المؤلف يقدم وصفا شكليا للسيدة جويرية ـ رضي الله عنها ـ وما تتسم به من حسن المظهر ووضاءة الوجه .

وقد يقدم المؤلف وصفا اجتماعيا للشخصية؛ فمن ذلك قول المؤلف: "بنتا لرجل من أجواد العرب الذين عرفوا بالجود ، واشتهروا بالكرم، وزاد على ذلك أنه كان إذا خرج في سفر كفى أصحابه ورفاقه في السفر من زاده، وإذا صحب ركبا لم يدع أحدا من أهل الركب يحمل طعاما ، بل يطعم هو الركب من طعامه ، فكان من ذلك أن عرف واشتهر بين الناس باسم زاد الراكب . وكانت إلى جانب مجدها هذا على جانب عظيم من الجمال والذكاء وقوة الشخصية "[2] . فالمؤلف يعرض ما تتسم به السيدة أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ من وجاهة اجتماعية فأبوها كريم من كرماء العرب وقد انتشر صيته بين العرب جميعا بالكرم حتى صار وصفا له .

كما قدم الأدباء وصفا نفسيا وفكريا لعدد من الشخصيات من ذلك قول المؤلف " ما كانت تخلو بنفسها إلا وتفكر في الدين الجديد الذي جاء به الرسول ﷺ من عند ربه ، وتتشوق إلى معرفة المزيد حول هذا الدين ، وكيف تستطيع أن تعبد الله ؟ وهل سيؤمن به كل الناس في مكة ؟ إنها تريد مزيدا وبيانا لكل ما يجول في نفسها ! وبينما أسماء غارقة في تفكيرها ، سمعت دق الباب ، فاتجهت إليه لترى من الطارق ، وما كادت تفتح حتى وجدت نفسها أمام رسول الله ﷺ "[3]لقد كانت أسماء بنت أبي بكر ـــ رضي الله عنهما ـــ صاحبة فكر حر ؛ فمن ذلك أنها لما عرفت بالدعوة الإسلامية ، بدأت تفكر ويجول في نفسها حديثا حول هذا الدين الجديد ، وقد هداها هذا الفكر للإسلام .

رابعا :ـ الزمان و المكان :

يؤدي الزمكان دورا هاما في بناء العمل الفني ، إذ يعد العمود الفقري الذي يربط أجزاء العمل بعضها بالبعض، كما يعد الأرضية التي تتحرك عليها الأحداث، لأن أحداث العمل الفني لا تقع في الفراغ، بل يضمها زمان

---

[1] حامد أحمد الطاهر : مجموعة أمهات المؤمنين للأطفال مرجع سابق صـ ٢٥٠

[2] محمد أحمد برانق : مجموعة أمهات المؤمنين ، قصة أم سلمة ، مرجع سابق صـ٥

[3] إبراهيم محمد الجمل : أسماء بنت أبي بكر ـ ذات النطاقين ـ مرجع سابق صـ ١٢

ومكان محددين.فالزمكان" مجموع القوى والعوامل الثابتة والطارئة التي تحيط بالفرد وتؤثر في تصـــرفاته في الحياة . وتوجهها وجهات معينة" [١] . ولا يمكن لأحد أن ينكر دور الزمان و المكان في فهم الأحداث والشخصيات؛ فتحديد الزمان المكان في العمل الفني " يعتبر ضـرورة فنية ونفسـية ، وهي نوع من استكمال الصـورة العامة أو الخلفية ، وبدون ذلك قد يحدث نوع من التشـــتت والغموض"[٢] . فما من حدث إلا ولابد أن يقع " في مكان معين ، وزمان بذاته ، وهي لذلك سترتبط بظروف وعادات ومبادئ خاصـة بالزمان و المكان الذين وقعت فيهما ، والارتباط بكل ذلك ضـــرورة لحيوية القصـــة لأنه يمثل البطانة النفسية للقصـة "[٣] ويتضـاعف دور الزمان و المكان في " إضفاء صفة الصدق و الواقعية على الحدث و الشخصية و الفكرة"[٤].

لقد أوْلى أدباء الطفل عنصـــري الزمان والمكان اهتماما ملحوظا ، فزخر أدبهمبوصـــف الأماكن وتحديد الأزمنة التي دارت الأحداث فيهما. ومن الجدير بالتأكيد هنا " أن وصـــف المكان أو تحديد الزمن أو خلق جو معين أو خلفية معينة ليس زخرفا أو إضـــافة لا داعي لها ، بل هو جزء لا يتجزأ من الإعداد للحدث وتقديمه ، وتقديم الشـخصـيات وما يدور بداخلها ، إذ كثيرا ما يعكس المكان ما يجول بخاطر الشخصيات من الأحاسيس سواء كانت فرحا أوحزنا أو شعورا بالأمن أوبالخوف ..."[٥].

وتعظم أهمية تحديد الزمان ووصـــف المكان في مجال أدب الطفل التـاريخي ؛ حيث يتســـع الفارق الزمني، ويزداد التباين في الأماكن وفى طبيعة المعيشـــة ، وهنا يأتي دور الزمان والمكان في نقل البيئة وربط الأطفال بالعصـــر الذي وقعت فيه الأحداث ؛ لذلك فإن " كتاب الأدب

---

[١] رشدي أحمد طعيمـــــة : أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية النظرية و التطبيق ، دار الفكر العربى، القاهرة ط١ ١٩٩٨ صـ ١٢٨.

[٢] نجيب الكيلاني :أدب الطفل في ضـوء الإسـلام ،مؤسـسـة الرسـالة ، بيروت ط٥ ٢٠٠٥ صـ٦٨

[٣] عز الدين إسماعيل : الأدب وفنونه دار الفكر العربي ، القاهرة ٢٠٠٤صـ١٩٤

[٤] ناصـر يوســف أحمـــد: القصص الفلسطيني المكتوب للأطفال ١٩٧٥ـ ١٩٨٤، دائرة الثقافة منظمة التحرير الفلسطينية ط١ ٢٠٠٠ صـ٢٩١

[٥] أنجيل بطرس سمعـــان : دراسات في الرواية العربية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ صـ ٦١.

التاريخي يجب أن يحرصوا على إعطاء الزمان والمكان القدر المناسب ، واستخدامهما كجزء من التعبيرعن المراد "[1].ولذلك فإن الأديب إذا استطاع أن يدفع الأطفال إلى الاقتناع بأهمية كل من الزمان والمكان في فهم الأحداث؛ فإنهم "سوف يبصرون ويسمعون وربما حتى يتذوقون المكان والزمان ليشعروا بهما بأي طريقة تناسب مزاج وصراع وشخصيات القصة"[٢]

ولقد تنوعت الإشارات إلى الزمان والمكان في أدبهم ،وكان أسلوب "تقديم الأشياء هو الوصف بينما يرتبط الزمن بالأفعال (الأحداث) و أسلوب عرض الأحداث هو السرد"[٣] وكذلك اختلف تجسيد الزمان عن تجسيد المكان "حيث أن المكان يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية أما الزمن فيتمثل في هذه الأحداث نفسها و تطورها"[٤] ولذلك فإن الباحث يسعى لدراسة الزمان والمكان مراعيا في ذلك الإجابة على عدد من التساؤلات[٥] :

١ـــ هل تم عرض زمان القصة ومكانها بتفاصيل مناسبة ، سواء كانت رئيسة أو ثانوية ؟

٢ـ هل هذه التفاصيل حيوية و أساسية للقصة ؟

٣ـــ هل تفاصيل البيئة تعطى الإحساس بالزمن و بالعصر وبالمكان والمناخ العاطفي المناسب لمفاهيم القصة ؟

٤ـ هل اختيار تفاصيل البيئة تعطى تلميحات عن الحياة ؟

٥ـ هل يتم وصف البيئة العامة للشخصيات بحيث تندمج مع الخلفية ؟

ولقد أعطى أدباء الطفل مساحة واسعة للزمان و المكان في أعمالهم ، فعند الحديث عن وفاة آمنة بنت وهب ـــ رضي الله عنها ـــ جعلت الكاتبة

1John Stephens: Language and Ideology in Children's Fiction by Group Longman London and New York F1 1992 p20 -

[2]- Rebecca j. Lukens : A Critical Handbook Of Children's , Literature , Copy Right c 1986 , Scott, Foreman and Company , London p104

[٣]سيزا قاسم: بناء الرواية مكتبة الأسرة ، القاهرة ٢٠٠٤صـ ١٠٦.

[٤]سيزا قاسم: المرجع السابق صـ ١٠٦.

[٥]كونستانتين جيورجيو : الأطفال و أدبهم ، نقلا عن رشدي أحمد طعيمة : أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية النظرية و التطبيق ، دار الفكر العربي، القاهرة ط١ ١٩٩٨صـــ ٥٥ .

غروب الشمس ورحيلها مقدمة أو معادلاموضوعيا لرحيل آمنة ـ رضي الله عنها " وفى أحد الأيام قالت آمنة لمحمد ... اليوم ســـنذهب لزيارة قبر أبيك عبد الله ثم نرحل إلى مكة ... وذهب الغلام محمد إلى قبر أبيه ، و ظن أنه يمكنه أن يراه ، ولكنه وجد أمه تقف أمام مرتفع من التراب و تلقى بنفســـها عليه و تنخرط في بكاء عميق وهى تحتضـــن التراب و تقبله ... فخفق قلب الصبي شوقا للأب و رحمة بالأم الأرملة الحزينة .. وراح القوم يواسونها و يعزونها .. وتتعثر الكلمات ... و تختنق العَبرات بالبكاء على فقد عبد الله .. وراح محمد يدقق النظر في التراب علَّه يســـتطيع أن يخترق هذه الأكوام ويرى أباه ... ثم غربت الشـمس و حان وقت الرحيل ... فودع الجميع آمنة ... وركب الثلاثة على الناقة ... وكانت آمنة قد تهالكت .. و شـعر الغلام أن أمه لا تســـتطيع ترك المكان .. و أنها تركت قلبها هناك على قبر أبيه و عادت جســـدا شـــاحبا بلا حياة .. وفى الطريق إلى مكة كانت آمنة شـــاردة الذهن في ملكوت آخر ..لا تأكل .. و لا تشـرب .. ولا تتكلم كأن روحها قد سـلبها عبد الله في قبره .. ولم يسـتطع الصـبي محمد أن يدخل الفرحة على قلب أمه كما كان يفعل من قبل لأنه كان يشـــعر بها و يُحس آلامها ... فلم يلعب ولم يتحرك ظلت عيناه ترقبان الســـماء في علوها والصـــحراء في اتساعها و أمه الشاحبة السارحة"[1] .فالكاتبة جعلت من غروب الشمس وقدوم وقت الرحيل مقدمة وتهيئة لما سيحدث بعد ذلك من انتقال آمنة ورحيلها عن الدنيا . ولا شـك أن غروب الشـمس يوحى بقرب حلول الظلام ، كما امتزج الزمن بالمكان فحلول الظلام عليهم ورحيلهم وقد كانوا في وسـط الصـحراء التي توحي بالجدب و الافتقار لمظاهر الحياة .

ويرســـم محمد أحمد برانق صـــورة لمكة وقت الظهيرة حيث تنتظر خديجة ـــ رضي الله عنها قدوم محمد ﷺ بعد عودته من تجارتها " فانطلق محمد فوق بعيره حتى دخل مكة ســـاعة الظهيرة ، وكانت خديجة حينذاك في علية لها بمنزلها ، تستروح ريح الشمال الباردة ، فأبصـرت من عليتها راكبا يعدو بـه بعيره فوق رمـال الصـــحراء المحرقة ، وقد أظلته

---

[1] كريمـــان حمـــــــــزة: " سيد الخلق " دار الشروق، القاهرة ١٩٩٤جـ١صـ ٦٤ ، ٦٦ .

غمامة تسبح فوقه بمقدار عدو بعيره "[1] . فالكاتبة تحاول رسم صورة متكاملة للمشهد معتمدة في ذلك على تحديد الزمان (وقت الظهيرة) ووصف المكان (رمال الصحراء المحرقة) وتواجد خديجة ـــ رضي الله عنها ــ في علية لها ، وغير ذلك مما يجعل المتلقي يستحضر الموقف كاملا من خلال الصورة الذهنية التي رسمتها الكاتب من خلال عنصري الزمان والمكان .

ويسعى كامل كيلاني من خلال عنصري الزمان و المكان لتوضيح المشقة التي تكلفتها السيدة آمنة بنت وهب في مسعاها لزيارة قبر زوجها وللمدينة أيضا " - وقد اجتازت به أمه قرابة مائتين من الأميال

- مسافة ما بين مكة و المدينة
- على أنه لم يلبث في المدينة المنورة زمنا طويلا
- لبث بين أقاربه شهرا
- ما أقصرها من رحلة
- تعني وفاة أمه في الطريق
- يا لها من حادثة فادحة ، تكاد لهولها تحطم القلوب
- تقول أنها ماتت في الطريق . فهل تذكر في أي مكان لقيت ربها ؟
- في قرية تسمى الأبواء " [2] فالكشف عن المسافة وبعدها يوضح للأطفال المشقة الحقيقية التي تكلفتها السيدة آمنة في طريقها لقبر زوجها وكذلك للمدينة المنورة ، وما كان للطفل أن يعرف بعد المكانين بدون هذا التوضيح.

خاتمة

لقد صار جليا ما قدمه أدباء الطفل من تعظيم لدور المرأة الإيجابي في المجتمع ، وكيف كان تقديسهم لما قدمته المرأة من جهد في الحياة داخل منزلها أو خارج حدود المنزل ؛ فهناك المرأة التي تعمل بالتجارة ، وهناك المرأة التي لها حق تقرير مصيرها في البقاء علي دينها أو الإسلام ، وهناك

---

[1] محمد أحمد برانق : قصة النشأة ، مرجع سابق صـ ١٩
[2] كامل كيلاني : من حياة الرسول مرجع سابق صـ ٢٠٢ ، ٢٠٣

المرأة التي بفضلها وبفضل ذكائها أسلمت وأسلم قومها وحرروا من الأسر ، وهناك المرأة التي أصلحت الشرخ بين الرسول والمسلمين أو بين فئتين متنازعتين من المسلمين ،كما قدم أدباء الطفل نموذج المرأة التي قدمت أولادها شهداء للإسلام ، وأيضا المرأة التي تفوقت في الشعر علي الشعراء الرجال .وهناك المرأة التي أمسكت بالسيف ودافعت عن الرسول ﷺ حتى جعلت كامل كيلاني يقول فيها ما قاله المتنبي في أم سيف الدولة :

فلوْ كانَ النساءُ كمثـــل هذي .. لفُضلتِ النساءُ على الرجالِ

فما التّأنيثُ لاسمِ الشمْسِ عيبٌ .. ولا التّذْكيرُ فخْرٌ للهـــلالِ

ولقد عمد أدباء الطفل إلي تقديم المرأة باعتبارها نموذجا يحتذى به داخل البيت وخارجه ، من خلال مجموعة من السمات الفنية التي تحققت في أعمالهم الفنية ؛ من ذلك :

- الاستعانة بلغة سهلة وبسيطة وواضحة، والتنويع بين أسلوبي الوصف والحوار، ما يجعل القصة الواحدة غنية بالحركة والأصوات الساردة للحكاية.
- التقليل من الإرشاد المباشر الذي قد يُشعر الطفل بالملل، وبدلاً من ذلك يستعين الكاتب بتقنيات أخرى كالمحاورة مع شخصية معينة .
- التنويع في الشخصيات النسائية الفاعلة داخل إطار القصة .
- الاهتمام بتقنية السؤال الذي يحفز خيال الطفل، وينمي فيه الحس المعرفي والعلمي، ويزرع فيه الثقة بالنفس.
- تناول الشخصيات من أبعادها المختلفة .
- استخدام طرق مختلفة في السرد مما يحث الأطفال على متابعة العمل الفني
- الاهتمام بوصف المكان و الزمان مما يعكس ثقافة المجتمعات .

ثبت المصادر و المراجع

- إبراهيم حمادة : معجم المصطلحات الدرامية ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٨٥
- إبراهيم ضمرة : سلسلة المسرح الإسلامي " مسرحية الخنساء " دائرة المكتبات و الوثائق القومية ، الأردن ١٩٨٨

- إبراهيم محمد الجمل : أسماء بنت أبي بكر ـــ ذات النطاقين ـــ نهضة مصر القاهرة ٢٠٠٠
- ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر بيروت ط٤ ١٩٩٩ ، م ٧
- أنجيل بطرس سمعان : دراسات في الرواية العربية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧
- جولندا أبو النصـــر وزينات بتروني : (أدوار الجنســين في أدب الأطفال العربي) مجلة الرائدة ع ١١ ١٩٩٦
- حامد أحمد الطاهر : سلسلة أمهات المؤمنين للأطفال ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ط١ ٢٠١٤
- حسين القباني : فن كتابة القصة ، بيروت
- حميد لحمداني : بنية النص الســردي ، المركز الثقافي العربي للنشــر و التوزيع ، المغرب ط٣ ٢٠٠٠
- رشدي أحمد طعيمـــة : أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية النظرية و التطبيق دار الفكر العربى، القاهرة ط١ ١٩٩٨
- ســميح عاطف الزين ، عبد التواب يوســف : قصــص الأنبياء للأبناء ، دار الكتاب المصري ط١ ١٩٩١
- السيد أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة ، المكتبة العصرية ، لبنان ط٢ ١٩٩٩
- سيزا قاسم : بناء الرواية مكتبة الأسرة ، القاهرة ٢٠٠٤
- صلاح الدين مليك : فصول في الأدب و النقد ط١ ١٩٧٨
- صـــــــلاح فضل : منهج الواقعية في الإبداع الأدبي ، دار المعارف ،القاهرة ط٥ ١٩٩٥
- عبد الحميد جودة السحار : قصة (خديجة بنت خويلد) ، مكتبة مصر
- عبد الرحيم الكـــــــردي : السرد في الرواية المعاصرة ، القاهرة ط١ ٢٠٠٥
- عبد العظيم الشبـــــــلي : فصول من السيرة (النبى الواعد) الهيئة العامة للكتاب القاهرة ٢٠٠١
- عبـــــد الملك مرتاض : في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) دار الغرب للنشر و التوزيع ، الجزائر ٢٠٠٥
- عز الدين إسماعـيـــل : الأدب وفنونه دار الفكر العربي ، القاهرة ٢٠٠٤
- عز الدين الأميـــــــن : نظرية الفن المتجدد ، القاهرة ط١ ١٩٦٤
- غازي طليمات ، عرفان الأشـقر: الأدب الجاهلي قضـاياه أغراضـه فنونه أعلامه ، دار الإرشاد سوريا ط١ ١٩٩٢
- كامـل كيلانـــى : مجموعة "من حياة الرسول " ، دار مكتبة الأطفال ،القاهرة
- كريمـــان حمـزة : " سيد الخلق " دار الشروق، القاهرة ١٩٩٤

- كونســـتانتين جيورجيو : الأطفال و أدبهم ، نقلا عن رشـــدي أحمد طعيمة : أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية النظرية و التطبيق ، دار الفكر العربي، القاهرة ط١ ١٩٩٨
- مجدي وهبة ، كامل المهندس : معجم المصـــطلحات العربية في اللغة و الأدب ، بيروت ط٣ ١٩٨٤
- محمد أحمد برانق : سلسلة أمهات المؤمنين ،دار المعارف القاهرة ط٩ ١٩٩٨
- محمد أحمد برانق : قصة (النشأة) دار المعارف
- محمد سيد عبد التواب : صورة المرأة في أدب الأطفال ، التشكل والإشكال، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠١٥ صـ٦٣
- محمد عايش عبيد : " تغريدة السيرة النبوية " دار التراث ١٩٨٥
- محمد يوسف نجم : فن القصة ، دار صادر بيروت ، ١٩٩٦
- مرزوق هـــــلال : سلسلة المسرح الإسلامي للناشئة ، (حفصة في بيت الرسول) دار الكتاب المصري القاهرة
- ناصـر يوســـف أحمـــــد : القصص الفلسطيني المكتوب للأطفال ١٩٧٥ـ ١٩٨٤، دائرة الثقافة منظمة التحرير الفلسطينية ط١ ٢٠٠٠
- نجيب الكيلاني :أدب الطفل في ضوء الإسلام ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ط٥ ٢٠٠٥
- هدى محمـــــــــد : صورة المرأة و الطفل بين الموروثات الشعبية ومقررات اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية ، ٢٠٠١مجلة الثقافة والتنمية ع ١
- John Stephens: Language and Ideology in Children's Fiction by Group Longman London and New York F1 1992 p20
- Rebecca j. Lukens : A Critical Handbook Of Children's , Literature , Copy Right c 1986 , Scott, Foreman and Company , London p104